

الفصل الأول

مملكة طور العمالقة

عام 2959 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2958 ق م م

قبل ألاف السنين كانت احد ممالك أمصار اليمن القديمة تدعى مملكة طور العمالقة ، وكان ملكها الملك طور الخامس يحتضر وليس له وريث على العرش من ولد الذكور سوى ابنه وحيدة وهي الأميرة كوثر العطرة التي تلقب كتوره ولكنها كانت تفضل اللقب الذي لقبته بها أمها الملكة وهي صغيرة آلا وهو كوثي ، والتي كانت في رحلة صيد مع بعض الجنود المملكة .

كان شقيق الملك طور الخامس الأمير فارع ، ينتظر لحظة وفاة أخيه ليستولي على العرش ، وبالفعل عندما طلب منه الملك طور إن يرسل في طلب ابنته الأميرة كوثر حتى تتسلم الحكم من بعده ، ادعى الأمير فارع والبارع في الحيل انه أرسل في طلب الأميرة ليأتي بها من رحلة صيدها في البرية والوديان الموحشة .

ولكن في الحقيقة لم يرسل الأمير فارع احد ، ومرت ثلاثة أيام توفي فيها الملك طور الخامس بعدها واستلم الأمير فارع الملك مدعيا عدم وجود من يشغل العرش في غياب وريث ذكر من

صلب الملك ، وكانت الأميرة كوثر لا تعلم شيء بل مصممة على إكمال رحلتها .

خرج الأمير فارع على الرعية وادعى بكل براعة إن الملك طور أخيه أوصلي له بالعرش لأنه لا وريث له من الذكور ولكن اشترط عليه إن يرعى ابنته الأميرة كوثر ويكون ابنه الأوسط الصغير زوجا لها ما إن يكبر ليتوليان العرش من بعده .

فلقد كان للأمير فارع ثلاث أبناء البكر وهو المتزوج من بنات فاران النبعين وجبال سيراة المكنة أبو مالك على اسم ابنه البكر مالك ولكن هو اسمه سهيل أما الأوسط يدعى طور والصغير يدعى قيس .

صدق سكان المملكة ما قاله الملك الجديد فارع ، وهذا الأمر اسعد الملك فارع ولكن أغاظ ابنه البكر الأمير سيهل المكنى أبي مالك ، ولكن كتم غيظه على أبيه .

بعد يومين من تولي الملك فارع الحكم قدمت الأميرة كوثر مع بعض الجند من رحلة الصيد والتي دامت عشرة أيام وهم محملين بشتى أنواع الطرائد والأعشاب العطرية والطبية .

فلقد كانت الأميرة كوثر في كل رحلة صيد تخصص أول الأيام الرحلة في اكتشاف الجبال والوديان بحثا عن أعشاب وأشجار العطرية والطبية المعروفة أو الجديدة ، لهذا لقبت بالعطرة فهي لديها غرفة في قصر أبيها تخصصه كمعمل لتحضير العطور والأدوية .

ثم بعد ذلك تبده في الصيد وكانت دوما تحب صيد كثير من الطرائد ، فلقد جاهد والدها الملك طور الخامس في أن يعلمها جميع أنواع فنون القتال والصيد منذ نعومة إظفارها لأنه لم يكن لديه ولد يورث له كل مهاراته في القتال والصيد ولقد كلف حكيم القصر الحكيم عوص بتعليمها فنون العطارة ، لهذا كان يعدها

لتكون خير سلف فارسة وصيادة وحكيمة .



عند اقتراب الأميرة كوثر
وهي تمتطي الأتـــ
وهي وسيلة الترحـــ
الوحيدة في الجبـــ
اقتربت من أســـ
المملكة حتى قدم احـــ
حراس البوابات بسـرعة
واخبرها ما حدث لوالده
الملك وأمر تولي عمهـــ
الملك .

نزلت من على ظه
الحمـــار الذي برغم انه
كبـــير الحجم إلى انه
كحجم الجدي مقـــارنة
بطول وضخـامة الأميرة
كوثر وقومها ، وانطلقت
مسرعة كالـــريح برغ

ارتدائها دروع الفرسان
والسيف بجنبها والقوس
والأسهم على ظهرها والرمح ذو رئس النحاسية كالذهب في يدها ، ودخلت في القصر وسئلت عن مكان مدفن والدها فكان في حجرة في وسط حديقة القصر بجوار قبر زوجته التي ماتت وابنتها الأميرة كوثر في الخامسة من العمر .

ارتمت على القبر الرخامي وبكت طويلا ولم يستطيع احد من الوصيفات أن يوقفها وكان عمها الملك فارع الأول كان واقف خلفها فقال لها : يا ابنة أخي هكذا هي الحياة الكل راحلون ولو بعد حين .

غضبت الأميرة كوثر وكفكفت دموعها ونهضت واتجهت صوب عمها الملك وقالت له : هكذا هي الحياة إذا ؟ لماذا لم ترسل في طلبي وتخبرني بما أصاب أبي ؟

الملك فارع : لقد مرض فجئه ولم ادخر وسعا في إحضار الحكماء من مملكتنا والممالك المجاورة ولكن دون جدوى فلم يستطيع احد فعل شيء ، ولقد أرسلت في طلبك ولكن لم يصل من أرسلتهم ربما عندما أخبرتهم أن لا يعود إلا بك أو قتلهم قرروا الهروب وعدم العودة لأنهم لم يجدوك ، ها أنت رجعت وهم ليس هنا .

ثم أردف قائل : على العموم لقد أوصاني قبل رحيله بخلافته على العرش وتكوني أنت زوجه لابني طور عندما يكبر ثم ترثان الحكم من بعدي .

برغم عدم اقتناع الأميرة كوثر بكلام عمها الملك فارع إلى أنها رفضت وبشدة الزواج من ابن عمها الأمير طور فهو يصغرها سننا بكثير بالإضافة مدلل جدا وأحمق .

ومرت أيام وشهور وكانت أخبار مملكة طور الكاسي تصل لكل أمصار اليمن عن مغادرة ابن زعيم الكهنة آزر منذ أعوام من المملكة ، فلقد سبق لابن الكاهن آزر وهو أبي راحيم أن تحدى أبيه زعيم الكهان وباقي الكهنة بل حتى الملك وحطم ذات يوم أصنامهم وكفر بها فأقاموا له نارا عظيمة في احدي الوديان ورمي فيها ابي راحيم وهو في السن التاسعة عشرة من احدي جرف الوادي داخل النار ولكن لم يحترق وكانوا يزيدون النار سعيرا برمي الحطب فيها من أعالي الجرف حول الوادي مع هذا وبعد يوم كامل لم يحترق ابي راحيم بل كان يتوعدهم بعذاب الحريق من الله ويلعن معبداتهم حتى سمعوا صوت الرعود في قمم الجبال مع قدوم ابن عم ابي راحيم الذي امن به وهو لواءات وشقيقته سرايا ، قدم من احدي قمم الجبال مع قدوم الغيم المرعب فخاف الناس وقالوا لبد أن اله ابي راحيم الخفي سينتقم منهم ففروا ولم يبقى سوى بعض الكهان وعلى رئسهم زعيمهم أزر و الملك ووزيرة حيث اسودت السماء بسحب عظيمة واظلم المكان وكأنه ليل لولا ضوء قادم من النار لما تمكن احد من أن يرى إصبعه إمام عينية ، و تساقط مطر غزير جدا و اغمد النار ونزلت أيضا سيول من الجرف لتدفع الحطب وانكشف المكان وأشرقت الشمس

ليشاهد الجميع ابي راحيم واقف فوق صخرة كبيرة في وسط الوادي وهو سليم لم يحترق جسده أو حتى ثيابه .

صمت الجميع وصعد ابي راحيم الجرف حتى مر بابيه أزر فدعاه أن يؤمن بالله ولكنه رفض وطلب منه أن يرحل ويأخذ ما يشاء من مؤنه .

وكان الملك غاضب ولكن خائف من ابي راحيم وأعطى له الأمان علة يغادر المملكة وبالفعل غادر ابي راحيم وابن عمه لواءات و أخته سرايا إلى ارض فاران النبعين حيث سبق كان جده صرح أول من هاجر إليها مع ولديه وهما عمين لابي راحيم وهما الناحر الذي سمي بذلك ليقوم بنحر الجمال قرباننا للمعبودين النبعين الفائران ، و فاران الذي سمي على النبعين الفائران حيث كانت الناس تعبد النبعين الذين يفوران بماء عذب كل شهر مصدرين أصوات قوية جدا .

وعندما وصل ابى راحيم إلى فاران اخبر أعمامه عما حدث له ودعاهم للإيمان بالله ولكن رفض عميه الإيمان بدعوته ومع هذا فلقد فرحا بالإقامة بينهم ولكن أبناء عمه فاران لواءات البالغ سبعة عشرة عاما و سرايا الملقبة سارة البالغة أربعة عشرة عاما ومليكا، وكذلك أبن عمه ناحر وهو صرح الصغير البالغ ستة عشرة عاما قد امنوا بابي راحيم .

وبعد أشهر تزوج من ابنة عمه سرايا بنت فاران وأصبحا يطوفان أعوام في أمصار اليمن لدعوة الناس في البراري والممالك لعبادة الله وحدة وترك الأصنام ، واستجاب له نفر من كل مملكة أو شعب أو وادي به ناس .

وبعد واحد وعشرون عاما قرر ابي راحيم إن يأتي إلى مملكة طور العمالقة ليدعوهم للإيمان بالله وحدة ، سمعت الأميرة كوثر البالغة من العمر ثمانية عشرة عاما والمحزونة على موت أبيها ، سمعت بقدوم ابي راحيم ففرحت رغم حزنها فلقد سمعت قصص عنه ولطالما أثار فضولها ابي راحيم كشخص وأفعاله التي تسمعها عنه وإرادة أن تقابله فهي منذ موت والدها قبل أشهر وتولي عمها الحكم وهي تقضي أيامها تجول في الجبال والوديان أما لصيد أو لجمع الأعشاب العطرية والطبية .

الأميرة كوثر في قصرها

وهاهي ألان تستعد لتقابل الشخص الذي يعبد اله خفي الذي يقف معه ويدعمه لعلها تجد عنده ما ينسيها حزنها .

بعد أن دخل ابي راحيم وزوجته وبعض خدمة إلى القلعة أرسل الملك فارع في طلبه إلى القصر فلقد كانت ملوك أمصار اليمن يخشون دعوته وتغير دين الناس لذا يسعون لعزلة عن الناس باستقباله في قصورهم وإبقائها فيها حتى يغادر من المملكة ويدعون الاستماع له ولدعوته ، فهم لا يريدون طردة حتى لا يغضبوا اله الخفي ولكن لا يريدون أيضا أن يحتك بالناس .

عندما دخل ابي راحيم الى قصر الملك الفارع هاب الملك منه و أعجب بزوجته سرايا لأنها جميلة ولكن تأسف لحالها لأنها عقيم ومتزوجة منذ واحد وعشرون عاما .

إما الأميرة كوثر كانت ترقب من بعيد دخول ابي راحيم وقالت لحاجب وحكيم القصر : لماذا سمى أزر ابنه أبي راحم ؟

الحكيم : لقد كان والده كبير الكهنة وسيدهم وأراد أن يكون ولده الوحيد أب رحيم لكل زوار المعبد والإله عندما يأتون لصلاة وتقديم النذور ولكن ابي راحيم خذله وأصبح يدعوا إلى اله خفي وصفه بأنه هو القوي على الظالمين والرحيم على المظلمين والمؤمنين به .

الأميرة كوثر : لماذا ليس له ولد ؟

الحكيم : لان زوجته عقيم .

الأميرة كوثر : لماذا لم يتزوج من غيرها كما يفعل كل الرجال ؟

الحكيم : حسنا ، لا اعلم ، ولكن من من الناس يرضى أن يزوج ابنته لرجل لا يؤمن بما يؤمنون ولا يفضل أن يعيش في القلاع والقصور ، بل يظل يجول بين الأمصار لنشر رسالة ربه الخفي لجميع كما يقول .

الأميرة كوثر : ربما إنا افعل لو وافق .

الحكيم : ماذا ؟ ماذا تقصدين يا مولاتي ؟

الأميرة كوثر : نعم ، إنا قضيت اغلب حياتي في البراري لصيد والحصول على الأعشاب والبخور ، بالإضافة لا أحب العيش في مكان مغلق الأسوار والأبواب .

الحكيم : ولكن لا يؤمن بما نؤمن .

الأميرة كوثر : وهل ما نؤمن به حقيقي ؟

الحكيم : عذرا يا مولاتي ، ولكن هذا ديننا ودين أبائنا وأجدادنا من قبلهم .

الأميرة كوثر : ولكن اله الخفي لأبي راحيم تغلب عليهم في مملكة طور الكاسي .

الحكيم : لا أنكر هذا ولكن . . حسنا ، ماذا تريدين قوله يا مولاتي ؟

الأميرة كوثر : أريدك إن تقول لعمي (انأ ارغب بالزواج من هذا الرجل الغريب وأسافر معه بعيدا أينما يريد) .

الحكيم : حسنا سأفعل ما تأمرين به مولاتي برغم إني لا انصح بهذا .

وذهب الحكيم واخبر الملك فارع برغبة الأميرة كوثر وهو يرتعب من ردت فعل الملك ولكن تفاجئ بصمت الملك ثم انفجاره بالضحك وقال له : حسنا ، فليكن لها ما تريد وسوفا أبارك هذا الزواج أذا رضي الغريب .

استغرب الحكيم من كلام الملك مع هذا فلقد اخبر الأميرة كوثر بهذا ، وكانت فرحتها لا توصف ، إما الملك فارع فلقد كان أكثر فرحا ، فهو قد ضرب عصفورين بحجر واحد ، فبزواج الأميرة كوثر بهذا الرجل فسوفا يتجنب غضبه ويرضيه أولا ثم يتخلص بهذا من الأميرة إن تكون وصيه على العرش فلا احد يرضى ان يكون كافر بمعبداتهم ملكا عليهم والأميرة تكون قد أخلفت في نظر الكل وصية أبيها الملك طور المزعومة التي اشترط بالزواج من ابن الملك فارع لتكون وصية على العرش من بعده .

عرض الملك فارع على ابي راحيم زواجه من الأميرة كوثر وان هذه هي رغبتها ، استغرب ابي راحيم ومع هذا وافق بشرطين ، ان تخلع ما كانت تعبد وتؤمن بما يؤمن به ، والشرط الثاني أن تقيم أينما يريد وتسافر أينما يشاء .

انزعج الملك من الشرطين لأنهما صعب التحقيق كما كان يعتقد ولكن تفاجئ بدخول الأميرة كوثر على عمها الملك الفارع وابي راحيم وقالت لهم إنها توافق على الشرطين .

وبهذا تم الزواج ومنح الملك الفارع الهدية إلى ابي راحيم وكذلك من الأميرة كوثر ولقد أقيم حفل متواضع بحسب طلب الأميرة لأنها لا تريد أن ينسى الناس ذكر والدها الملك طور والذي مات عن عمر ستون عاما .

وعندما بدأت قافلة ابي راحيم استعدادها لرحيل بعد عشرة أيام من الحفل المتواضع أعلنت خادمات وعبيد الأميرة كوثر عدم رغبتهم في الذهاب معها لأنها تركتم دينهم إلا إذا أرغموا على السفر معها فسوفا يسافرون ، غضبت الأميرة كوثر فقامت وباعت كل عبيدها وخادماتها بدرهم واحد لمن يريد ان يشتري ، فقام ابي راحيم بشرائهم ثم قال لهم ألان انا أعتقكم لوجه الله الذي بعثني رسولا لكم ، فمن يريد ان يتبعني ليعمل عندي باجر فليلتحق بالقافلة ومن لا يريد فهو حر .

انقسم العبيد والخادمات فيما بينهم بعضهم بقى وبعضهم لحق بقافلة ابي راحيم الرسول ، وفي هذه كل هذه الأحداث لم تعلق سرايا زوجة ابي راحيم الرسول سوى بكلمات بسيطة قالتها للأميرة كوثر : ارجوا أن تجدي السعادة في العيش معنا وتنجب لابي راحيم الرسول أبناء .

لم تعلق الأميرة بأي شيء سوى شكرها فقط ، وانطلقت القافلة وكان الملك فارع وأولاده الوحيدون الفرحين بمغادرة الأميرة كوثر أما باقي من في المملكة يغلب عليهم الحزن والدهشة مما حدث .

ولقد غادروا المملكة وكانت الأميرة كوثر تحمل معها الكثير من الذهب والفضة والحرير والإعشاب الطبية والعطرية والكثير من الماعز والجمال والحمير والغزلان وبضع وعول ، ولم تنسى الأميرة أن تأخذ معها أسلحتها من

سيوف وسهام وأقواس وحراب وخناجر ودروع وهي نفسها كانت ترتدي ملابس القتال وتقود ناقتها .

الفصل الثاني

ارض فاران النبعين

عام 2958 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2957 ق م م

واستمر المسير حتى وصلت القافلة إلى الأرض المنشودة ارض فاران النبعين حيث يقيم ابي راحيم الرسول وباقي أهله ، واستغرب ابي راحيم الرسول ، فلقد استقبله الجميع إلا ابن عمه واخ زوجة لواءات !! فقال لصرح ابنه عمه : أين لواءات ابن عمنا ؟
فقال صرح ابن ناحر : لقد احتفلنا بيوم مولده فلقد بلغ أربعين عاما فقلنا لها ألا تتزوج آما لم يحن الوقت بعد ، فقال لنا : (لقد جاءني ملاك الله وأمرني أن اذهب إلى سد الدماء وان أقم عندهم وأمرهم بالإيمان بالله) ، فذهب برغم إننا حاولنا أن يتمهل حتى عودتك ولكنها قال إن أمر الله إذا جاء لا يؤجل .

فرح ابي راحيم الرسول بان اصطفى الله ابن عمة رسولا ولكنه كان قلقا عليه من أهل سد الدماء ، وكذلك أخته سرايا كانت خائفة وقلقة جدا على أخيها من قوم سد الدماء

مما جعل الأميرة كوثر تسأل زوجها ابي راحيم الرسول عن سبب خوفهم على لواءات من أهل سد الدماء ومن هم ؟
فقال صرح عندما وجد القلق يكاد يقتل سرايا وابي راحيم الرسول : انأ سأخبرك بخبر هؤلاء الشراذم ، (قبل عشرات الأعوام كانت في وادي الأخضر تقوم قبيلة صغيرة على الزراعة ولكن كانت المياه تفيض عليهم كل شتاء فأقاموا سدا من حجارة وطين وحبسوا الماء وبنوى قريتهم من طين المحروق والروث والأخشاب وبعد أعوام هطلت أمطار غزيرة انهار على أثرها السد فدمرت مياه السد القرية وقتلت اغلب سكانها ألا قله منهم هاجروها ، وأصبحت القرية اثر بعد عين وكان كل شي مغطى بالطين حتى جثث الإنسان والحيوان فأطلق الناس على الخرائب تلك القرية سد الدماء ظننا أن السد بعد أن انهار نشر الدماء في كل مكان ولكنه كان مجرد طين ، ومرت السنون فاتخذ قطاع الطرق والصعاليك والعبيد الآبقين من أسيادهم من خرب منازل قرية سد الدماء مسكننا وملاذا يعيشون فيها ولقد تصاهروا فيما بينهم وأنجبوا أجيالا إلا الخصيان من العبيد بينهم ولا يعرف احد منهم يقين أصله ، ولقد كثر فسادهم حتى نكح الصعلوك إذا لم يجد عبده عبدا خصي واتخذه رفيقا وكذلك العاقر منهن رافقت كل واحدة واحدة ، ولقد نبذهم كل ممالك الأمصار وأنكروا فعلهم وحاصروهم في ذاك المكان يعيشون فيه بمعزل عن الجميع ، هذه هي قصة هؤلاء القوم

فقالت الأميرة كوثر : يا الهي إنها لفاجعة أن يذهب إليهم لواءات ، ولكن إذا كان مرسلا من الله فسوفا ينجيه كما انجي زوجي وابن عمه ابي راحيم الرسول من النار .
فقال صرح : نعم هذا صحيح .
وبعد شهر حيث طمئن الله فيها ابي راحيم الرسول على ابن عمه حتى قام ابي راحيم برحله أخرى في الأمصار ليدعوهم لعبادة الله وحده ، ولقد اخذ معه زوجة الأميرة كوثر فهي شابه فتية بالإضافة قوية ومقاتلة تتحمل أعباء السفر في حين زوجته سرايا لم يعد لها القدرة على السفر الطويل وكانت ما تزال قلقه على أخيها الوحيد ، ولقد تعلق ابي رحيم بالأميرة كوثر كثيرا لأنها ذات همة وإيمان قوي جدا ومقاتله بارعة وتجيد صنع العطور والدواء من الأعشاب وتصطاد بمهارة ، ولكن ما ان مر على زواجهم خمسة أشهر حتى ثقلت حركة الأميرة قليلا فخشي ابي راحيم الرسول على زوجته ربما أصابه الإعياء أو مرض ما ولكنها أسرت في أذنه بان لا يقلق فهي حاملا منه .
وهنا أستاذا ابي راحيم في أن يقفل عائدا إلى ارض إقامته فاران النبعين ولقد آذن له وعاد وبشر أهلها بحمل زوجته الأميرة كوثر فهو أول مولد له ولقد بلغ من العمر اثنين وأربعين عاما فلقد كان عمر الناس وقتها أربعون أو خمسون عاما وقله من يبلغ الستون والسبعون ، فلقد ولا عهد أعمار الطويلة لناس بعد إن ولا عهد الطوفان وأهلها .
وبعد أن انقضت أشهر الحمل التسعة أنجب الأميرة كوثر أول مولد لابي راحيم وكان ذكر ولقد أطلق عليه اسم

سميع الله لان أمه قد سمعة كلمة الله وآمنة برسالة رسوله ابي راحيم دون نقاش .



الأميرة كوثر حامل

الفصل الثالث

إلى ارض المهجر

عام 2957 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)

وظلت الأميرة كوثر قبل الإنجاب بثلاث أشهر وبعد الإنجاب بعشر أشهر في نجع فاران النبعين متفرغة بإرضاع ولدها سميع الله واعدد من الأعشاب عطور وأدوية ، ولقد اشتدت غيرة سرايا حتى كرهتا وابنها وخاصتنا بعد عن عادت الأميرة كوثر إلى نشاطها وكأنها لم تحمل أو تنجب بل في كامل رشاقتها ووضعت نطاق حول خصرها الرشيق وجعلت طرفه يتدلى حتى انه يمحي أثار قدميها على الرمل .

وفي ذات يوم جاء أمر الله لابي راحيم بأن يهجر زوجته وابنه ووضعهما في وادي فارغ وجاف وخالي من البشر وبعيد عن طريق القوافل وهو يبعد عن فاران النبعين فرسخا كاملا في اتجاه الشمال الشرقي .

كـان هـذا اختبـار وبـلاء مـن الله لرسـوله ابـي راحـيم وزوجتـه الأميـرة كـوثر ، هـل سـيركن إلـى حيـاة النجـع مـع زوجتـه وابنـه آم يواصـل التجـوال فـي الأمصـار لنشـر رسـالة الله للنـاس ؟ ، وهـل حبـه لله مـازال قائمـا أما زحـف عليـه حب الزوجة والولد في قلبه ؟ .

لـذا فلقـد شـعر ابـي راحـيم الرسـول بعظمـة الاختبـار والـبلاء مـع هـذا فلقـد كـان صـادق فـي حبـه لله واخـذ زوجـة الأميـرة كـوثر وابنهمـا سـميع الله الرضـيع إلـى الـوادي غيـر ذي زرع وخالي من البشر .

عنـدما وصـل ابـي راحـيم إلـى مـا أمـره الله بـه فـي الـوادي بنـى مـع زوجتـه وعبيـدة سـور علـى شـكل حـدوت حصـان بالحجـارة فـي المكـان بارتفـاع ثـلاث اذرع وجعلـه مقفـلا إلا مـن جهـة واحـدة وهـي الجهـة الجنوبيـة ووضـع فـي وسـطها خيمـة كبيـرة بابهـا جنـوبي مـن قمـاش ثخـين ، أمـا الجدار الـذي كـان علـى شـكل حـدوت الحصـان تحـيط بهـم من ثـلاث جهـات و خاصـة الشـمالية حيـث تقـيهم مـن ريـاح الشـمال البـاردة .

بعـد أن تـم البنـاء ونصـب الخيمـة وضـع العبيـد بـأمر من ابـي راحـيم الأثـاث والطعـام والشـراب والإعشـاب والأدويـة والعطـور وكـل مـا تحتاجـه الأميـرة كـوثر وابنهـا مـن ملابـس وأوانـي والأسـلحة فـي الخيمـة ، ووضـع أيضـا كميـة كبيـرة مـن الحطـب أمـام الخيمـة ، ثـم قـال لهـم : هـذه البقعـة مـن الأرض أمـام هـذه الخيمـة كـان يوجـد بيـت الله قبـل إن يغـرق الطوفـان الـدنيا ، فهـذا المكـان حـرم الله فيـه كـل محـرم مـن شـرك إلـى اصـغر الـذنوب ، فليبقـى خـالي إلا لمـن أراد التعبـد لله فيـه فهـي ارض مباركة .

ثـم أكلـوا كلهـم وشـربوا وودع ابـي راحـيم الرسـول زوجتـه الأميـرة كـوثر وابنهـا سـميع الله الرضـيع وركـب مـع عبيـده بغـالهم والجمـال وانطلقـوا ولكـن استوقفت الأميـرة كـوثر زوجهـا ابـي راحـيم الرسـول زوجهـا وقالـت لـه : لمـاذا تهجرنـا ؟ هل الله أمرك بهذا ؟

فقال ابي راحيم الرسول وهو حزين : نعم انه أمر الله .

فقالـت الأميـرة كـوثر : إذا لـن يضـيعنا كمـا أنجـاك مـن النـار ينجينا ، اذهب لعله يأذن بعد البلاء الهجر لقاء .

وبعـد هـذه الكلمـات غـادر ابـي راحـيم الرسول وقلبـه مـن الـرق يكـاد أن ينفطـر ولكـن حبـه لله و طاعتـه يخفـف عنـه بـلاء الفـراق ، وقـال داعيـا لله : اللهـم اجعـل قلـوب النـاس تهـوي وتلين لهم وارزقهم من الطعام .



الفصل الرابع

أخبار طور العمالقة والقافلة

عام 2957 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2956 ق م م

ومرة أيام وشهور ، ومات الملك الفارع وتولى ابنه آبي مالك الحكم ولقب نفسه الملك الفارع الثاني ، ولقد تزوج من قبل وله ابن يدع مالك ، وطغى وتجبر على أبناء مملكة طور وهاجر الكثير منهم شمالا هربا منه .

وبعد شهور من مسيرهم وتقطعت بهم السبل ودب الجوع والعطش بينهم صاروا يبحثون عن ارض فيها ماء وكلاء ولكن كل ارض مروا بها كانت تسكن بها أقوام ترفض إقامتهم واقتسام الأرض معهم فهم يخشونهم لأنهم عمالقة القامة فربما يتغلبوا عليهم بعد زمن .

أما الأميرة كوثر فلقد نفذ منها الطعام فاضطرت إلى ارتداء ملابس الفرسان والصيد وذهبت إلى أعالي الجبال وقيعان الوديان المجاورة لصيد وكانت الطرائد قليلة جدا لا تكاد ان تسد رمقها وابنها سميع الله الذي فطم عن الرضاعة بعد تمام عامين ولكن كانت المشكلة الكبرى هي انتهاء الماء من قراب والتي كانت قد تحصلت عليها بصعوبة في بعض المغارات ، ولكن فصل الصيف الحار قد جفف أي مخزون ادخرتها الأرض من أمطار فصل الشتاء القليلة والشحيحة وفي فصل الربيع أيضا .

الفصل الخامس

الأميرة كوثر وملاك الماء

عام 2956 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2955 ق م م

صارت الأميرة كوثر تدعوا وتتبتل لله بان تأتي سحب الغيث لتغيثها وابنها أو أن تمر قافلة لتسقي منه الماء ، لذا كانت تمشي جيء وذهابا إلى اعلي الجبلين الصغيرين ، جبل الصفاء وجبل الارتواء ، فاتجهت بادئ الأمر إلى جبل الصافي دائما من السحب والواقع جنوبا حيث يطل على طريق قوافل القادمة من أمصار اليمن ، فكانت تنظر من أعلى الجبل لعلى هناك قافلة قادمة من بعيد ، وهذا الجبل لا يبعد عن خيمتها التي بها ابنها سميع الله الطفل سوى بمقدار سبعة وستون رمحا بطول ذراعين ، ثم بعد أن تتأكد عدم قدوم أي قافلة في الأفق حتى تهبط منه وهي على طول الطريق تبتهل لله ليغيثها وابنها ، ثم تذهب إلى جبل الارتواء وهو جبل في الشمال تأتي منه دائما رياح الشمالية الباردة والتي تروي بهواها المنعش صدر الإنسان ، فكانت تصعد وتنظر من قمته لعلى هناك قافلة قادمة من الشمال من أهل الشام ، ثم بعد أن تتأكد انه لا وجود لقافلة في الأفق البعيد تهبط وهي يحذوها الأمل وهي ذاهبة إلى جبل الصفاء أن تشاهد قافلة قادمة من اليمن وهي تبتهل إلى الله وهكذا كان يحذوها الأمل في رؤية قافلة من اليمن أو الشام تجد عندهم غايتها .

وبعد سبعة مرات والتعب والإعياء نال منها على قمة جبل الارتواء وتهم بالنزول منه سمعت صوت ولكن لم ترى احد فقالت لنفسها صمتا ، فهي تظن ربما تكون وساوس نفسها بسبب الحر وعدم التركيز ولكن الصوت يعود ويقول لها : أنت وابنك في حمى الله وحرمه والله لا يضيعكما ، فعرفت أن هذا صوت ملك وليس وساوس النفس أو الشيطان ، ثم نظرت و رأت شي منير يهبط من السماء في منتصف الطريق بينها وبين ابنها سميع الله الطفل في خيمته وهو يبكي ، فقام ذلك النور الذي تبين لها إن له أجنحة ضرب الأرض بقدمه فصارت الأرض مبتلة ثم طار في السماء واختفى فعرفت انه ملاك من الله فطالما وصف لها زوجها ابي راحيم الرسول شكل ملائكة الله وإنهم جنود الله وعبادة الطائعون .

ذهبت بسرعة إلى مكان مهبط الملاك وضرب قدمه فوجدت الأرض مبتلة فحفرت بضع أشبار حتى فار الماء بين أصابع يديها وكأنها فوران بركان يصدر صوت زمزمة

مدت كفيها وغرفت من الماء البارد وشربة منه وإذ به ماء عذب المذاق ، فأنزلت من على كتفها القربة الفارغة وغسلتها بالماء ثم ملأتها على الفور وذهبت بها إلى خيمة ابنها سميع الله الطفل الذي كان يبكي من العطش .

سقت الأميرة كوثر ابنها حتى ارتوى ثم ناولته قطعة من لحم مقدد قد قطعته قطع صغيرة جدا بيدها حتى يتمكن من أكلها .

ولقد أشعلت النار من بعض الحطب التي استجلبتها من نبتات والشجيرات الجافة على جروف الجبال ووضعت قدر به ماء ووضعت فيه القديد ليطبخ بعد ان هدى الصغير سميع الله ، وانطلقت إلى مكان الماء حيث صنعت حوله حوض من الحجار المجاورة بارتفاع ذراع حتى لا تطمر الرمال حولها النبع ، ولقد جمعت كم كبير من الحجارة وركمتها على بعض لأنها كنز حقيق في هذا الوادي الفارغ ، ثم شربت واغتسلت به وغسلت ملابسها وطفلها وأسلحتها والأواني وملئت كل القراب والأواني بالماء وأدخلتها الخيمة ثم في عصر نفس اليوم غسلت سميع الله الطفل بالماء ولعبا معا حتى مالت شمس الأصيل للغروب .

وفي الغروب سجدت لله حمدا وشكرا له ثم أعدت الطعام لها ولصغيرها وتعشيان ثم أحكمة إغلاق الخيمة بالحجارة ونام الصغير وصارت تبتهل ككل لليلة لله حتى غالبها النعاس فنامت الأميرة بجوار ابنها وهي تحتضنه وأسلحتها بجوارها وعند رئسها ونامت .

أما في ارض سد الدماء كان لوط برغم انه ولدت زوجته الابنة الثانية له وهي سرايا وسبقتها الابنة الكبرى رايا إلا انهوه كان يعاني مع القوم في أن يهديهم إلى الإيمان بالله وترك الأفعال المخزية كالسرقة وقطع الطريق والاغتصاب والزنة المحارم وغيرها إلا أنهم لا يستمعون له وصار يخرج من بيته ليرعه مواشيه يوما ويوم يفرغ نفسه لدعوتهم حتى صاروا يفرون منه او يقلدون صوته ويسخرو منه أثناء الكلام ، مع هذا فلقد كان صابرا عليهم لعلى منهم رجل رشيد أو صبي .

أما في فجر يوم التالي استيقظت الأميرة كوثر على صوت غريب بعيد عن الخيمة ولكن عالي ، نهضت دون أن توقض ابنها سميع الله الطفل من نومه و ارتدات ملابس القتال والسيف في جنبها والقوس والرمح في يديها وخرجت بخفة بعد ان أزالت ببطء وحذر الأحجار إمام باب الخيمة لتشاهد عندا بئر البر قطيع صغير من الوعول البرية وكان ضوء القمر ليس قويا ولكن الضوء البسيط كان كفيل بالمشاهدة .

اقتربت بحذر وحرص وخبرة وتمكن كبير كصيادة لتصب بسهم قوسها احد الوعول في قلبه ، ثم تناولت بخفة السهم الثاني الذي كانت قد وضعته بين أسنانها وأصابت به ساق أنثى وعل قبل أن يتنبه القطيع الصغير ويفر بعيدا صوب الجبال .

قامت بعدها بإخراج حبل وربطة بها بصعوبة سيقان الوعل الأنثى بعد أن وضعت على عينيها قطعة كبيرة من

الجلـد حتـى لا تـرى وتضـطرب وكانـت مسـتلقية علـى جنبهـا مـن اثـر السـهم فـي سـاقها الخلفيـة ، وبعـد ربطهـا جرتهـا حتـى بقـرب بـاب الخيمـة وربطـت حبـل فـي عنـق الوعـل الأنثـى وربطـة طـرف الحبـل بإحـدى الصـخور الكبيـرة ثـم أخرجـت السـهم مـن سـاقها وعالجتهـا بالإعشـاب وربطتهـا بخرقـة وتركتها معصوبة العينين .

ثـم ذهبـت إلـى الوعـل الثـاني الـذي كـان يلفـظ أنفاسـه فقامت بذبحـة بعد أن حفرت تحت رقبـة حفرة ليدخل فيهـا الـدم ثـم قامـت بنفخـة وسـلخة وتقطيعـه إلـى قطـع كبيـرة ومتوسـطة ، أمـا الجلـد فلقـد غسـلته جيـدا بالمـاء ثـم وضـعت عليـه الرمـال وفتـت فوقهـا بعـض الأحجـار الجيريـة وشـدته بقـوة مـن أربـع جهـات بالحبـل وتبتـت أطـراف الحبـال بأوتـاد قصـيرة وحجـارة ، وأمـا الأحشـاء الوعـل غيـر الكبـد والقلـب والـرئتين فقامـت بجمعهـا ودفتهـا بعيـدا جـدا ، وانتهـت مـن كـل هـذا مـع شـروق الشـمس فقامـت بإشـعال النـار ثـم وضـعت القـدور وملئـت احـدهم مـاء وقطـع لحـم وفـي القـدر الثـاني حليـب قـد تحصـلت عليـه مـن الأنثـى بعـد أن حلبتهـا لتسـمع صـوت اسـتيقاظ ابنهـا الـذي خـرج وهـو يـدب ليشـاهد مـاذا تفعـل أمـه ، ابتسـمت الأميـرة والتقطـت صـغيرة واحتضـنته وقالـت لـه : اليـوم سـوفا نشـرب مـاء وحليـب ونأكـل اللحـم أيضـا .، ثـم ضـحكت وهـي تـداعب انفـه بأنفهـا فضحك الصغير .

ونضـج الطعـام واكـلا وشـربا ثـم أخرجـت سـميع الله حتـى يلعب ويجـري خلفهـا إلـى بئـر البـر ثـم يعـودان إلـى الخيمـة ولاحظـت الأميـرة كـوثر أن الوعـل يـافع بعمـر عـامين لـم يـذهب كبـاقي الوعـول إلـى الجبـل بـل ظـل علـى مسـافة مئـة ذراع مـن الخيمـة وهـو يترقـب وكـان مميـز جـدا عـن بـاقي الوعـول فلقـد كـان لونـه ابـيض ناصـع وكأنـه قطعـة مـن مرمـر الأبـيض مـن قرنية الصغيرين إلى حوافره .

عرفـت الأميـرة كـوثر مـن خبرتهـا لسـنوات فـي الصـيد أن الوعـل الأنثـى الكبيـرة لبـد أنهـا أم لهـذا الوعـل الأبـيض بـرغم انـه لا يحتـاج لامـه فـي مثـل هـذا العمـر إلـى أن الوعـل يظـل متـابع لامـه حتـى السـن الثانيـة أو الثالثـة ، لهـذا عزمـت الأميـرة كـوثر انـه مـا أن تشـفى الوعـل الأنثـى مـن جراحهـا فسـوفا تطلـق سـراحها ولـن تـذبحها ، وفـي أثنـاء ذلـك فسـوفا تستفيد من حليبها .

وبعـد اللعـب شـعر الصـغير بالتعـب وانتصـف النهـار فغسـلته بالمـاء ثـم أدخلتـه فـي الخيمـة لتعـد لـه طعـام الغـداء وفـي أثنـاء ذلـك شـاهدة الأميـرة كـوثر فـي السـماء طيـور مـن كـل لـون وشـكل وحجـم قـد جـاءت مـن الجبـال المجـاورة لتـدور حـول بئـر البـر ثـم تهـبط أسـراب وأسـراب تشـرب وترحـل ليتحـل أسـراب أخـرى حتـى ملئـت الـوادي بأصـوات تغريـدها وبعثـت الحيـاة فيـه بعـد أن كـان لا يسـمع فيـه سـوى صـفير الـريح وبعـض الوعـول فـي البعيـد وفـي الليـل أصـوات عـواء بعيـده جـدا ، أمـا ألان فلا يكاد تسمع شيء آخر عدى صوت التغريد .

الفصل السادس

قافلة العمالقة

عام 2955 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2954 ق م م

أمـا فـي الجبـال الجنوبيـة مـن الـوادي حيـث الأميـرة كـوثر وابنهـا كانـت قافلـة العمـاليق قـد وصـلت إلـى حـدها الأقصـى مـن التعـب والعطـش حتـى شـاهدوا علـى رؤوس الجبال شمالهم طيور وعصافير تحلق في زهو بتغريدها .

استغرب أهـل القافلـة مـن ذلـك فاسـتوقفت فـي المكـان وأمـر قائـد القافلـة عمـارة الملقـب الأسـعد ابـن سـعد الملقـب أسـامة أي الأسـد مـن بنـي طـور العمالقـة ، أمـر خمسـة مـن اقـوي فتيـان القافلـة بـان يتسلقوا الجبـل ا وان يـدخلوا بـين شـعاب الجبـل لمعرفـة سـبب وجـود هـذه الطيـور التـي ليسـت مـن الطيـور المهـاجرة ووجودهـا هاهنـا غريـب أمـا هنـاك واحـة أو بركـة مـاء أو هنـاك أنـاس يعيشـون حيـث تقتـات الطيـور علـى فضلات أطعمتهم وأطعمت دوابهم .

وبـرغم اسـتغراب الجميـع فالكـل يعلـم أن خلـف هـذا الجبـل يوجـد وادي فـارغ غيـر ذي زرع لا مـاء ولا الكـلأ ، لهـذا حـذر قائـد القافلـة الفتيـه بـان لا يكشـفوا أنفسـهم ربمـا يكـون هنـاك قطـاع طـرق أو جنـد لإحـدى القبائـل يجهـزون أنفسـهم ليغيروا على إحدى القبائل .

بعـد سـاعات عـاد الفتيـان الخمسـة مسـرورين إلـى القافلـة واخبـروهم بـأنهم شـاهدوا نبـع مـاء مسـور بالحجـارة بارتفـاع ذراع والمـاء تنسـاب منـه وعلـى بعـد عشـرات الأذرع توجـد خيمة واحدة خرج منها فارس ملثم يعد الطعام أمام خيمته .

نظـر الجميـع باسـتغراب مـن وجـود الفـارس الوحيـد ولكـن سـروا بخبـر نبـع مـاء ، فقـال عمـارة قائـد القافلـة : حسـنا ، لـيس لنـا خيـار إلا أن نـذهب جميعـا إلـى ذلـك الفـارس ونطلـب منـه المـاء وإذا أراد أن يبيعـه لنـا نشـتري علـى أن لا يجـور علينا بالسعر وإلا نزلناه بحد السيف دونها .

وبعـد سـويعات وفـي سـاعة الأصـيل ثـارت الطيـور وهاجـت مـن جهـة جبـل الصـفاء ، فانتبهـت الأميـرة كـوثر لـذلك وانطلقـت مسـرعة فـي حمـل أسـلحتها ولتلثمـت وأمسـكت بـالقوس والسـهم وصـوبته نحـوى مقدمـة القافلـة بـدأت تهـل وتنزل الجبل .

ومـا أن أصـبحت المسـافة بينهـا والقافلـة مئـة ذراع حتـى إشـارة علـيهم بـالتوقف وان يعرفـوا بأنفسـهم وغـايتهم بالقـدوم لهذا المكان ؟

أوقف عمارة ابن سعد القافلة ونزع جميع أسلحته ورمى بها جانبا وحمل فقط سيفه بيديه ورفعة عرضيا فوق رئسه وقال وهو قد تقدم عن القافلة بثلاثين ذراعا ليصبح على مقربة من الأميرة كوثر التي يجهل من تكون ويعتقد إنها فارس من فرسان العرب : انأ عمارة الأسعد ابن سعد الشهير بأسامة من بني طور العمالقة ، لقد تقطعت بنا السبل وشحت الماء منا وإننا على شفر الهلاك ، فهل سمحت لنا يا فارس العرب وصاحب عين الماء أن نشرب منها ونسقي مواشينا ورواحنا ونغادر ، وان شئت اشترين منك الماء بالمال على أن لا تجور علينا بالثمن ؟ .

ارتاحت الأميرة كوثر فهي عرفت أنهم من قومها وان عمارة أشهر من نار على علم في مملكة طور العمالقة فهو طالما كان قائد قوافلهم التجارية لسنين طويلة ، لذا أنزلت القوس والسهم وتقدمت منه حتى لم يبقى بينهما سوى بضع اذرع ، توقفت وأزالت لثامها وقالت لعمارة : مازلت يا عمارة تقود قوافل طور العمالقة وأنت بهذا العمر ؟

اندهش عمارة ثم التف نحو القافلة وهو يقفز من سعادته رغم سنه فقال للقافلة : إنها أميرتنا ومولاتنا كوثر ، . ثم رجع والتف وخر راكعا هو باقي أفراد القافلة حتى الذين فوق دوابهم نزلوا منها وركعوا .

إمرتهم الأميرة كوثر بالنهوض وقالت لهم : الماء هناك ولا أريد منكم أي ثمن ، اشربوا واملئوا قيرابكم واغتسلوا .

ومن فرط العطش نهض الكل وانطلقوا بسرعة صوب الماء إلا عمارة وبعض عقلاء القافلة حيث سألوها عن سبب وجودها هنا في هذا الوادي الفارغ وأين أبي راحيم زوجها ؟

أخبرت الأميرة كوثر قصتها لأفراد القافلة وانه أمر إلهي لحكمة عظيمة سيحين وقتها ، ثم سألتهم عن سبب الرحيل من المملكة والى ابن يتجهون ؟

تقدم عمارة وقال وبكل أسف وحرقة : بعد أن غادرت المملكة دب الخلاف بين أبناء عمك الملك فارع ، فلقد قال ابنه البكر أبي مالك لأخيه الذي كان سيكون وريث للعرش بالزواج منك : لقد انتهت وصيت الملك طور بعد أن تزوجه الأميرة كوثر من الغريب وغادرت ، وبما إني الابن البكر فسأكون الوريث للعرش بعد أبي .

غضب الأمير طور واستل سيفه وطعن أخيه الأكبر في بطنه وكاد أن يموت ولكن نجي بعد أشهر وعادت قواته وفي هذه الأشهر كان والدهما الملك فارع استعاد عافيته وسجن الأمير طور .

بعد أن شفى الأمير أبي مالك طالب أمام والده أن يحسم أمر وريثه على العرش بالمبارزة بالسيوف خشبية ومن يسقط سيفه يخسر ولاية العهد ووريث العرش .

وافق الملك فارع الذي كانت صحته متدهورة ولا يريد أن تتشرذم أسرته ويضيع العرش والمملكة إذا ظل الأمر غير محسوم ، وبالفعل تبارز الاثنين حتى تمكن الأمير أبي مالك من هزم أخيه ولم يحتمل الصغير الهزيمة

فاستل خنجرا من احد الحراس وأراد أن يطعن أخيه لولا تدخل الملك فارع الذي نال الطعنة بالخطأ وقال البعض أبي مالك هو من هزم وهو من أخطئ فطعن والده بدل أخيه الذي كان يحيي الفائز .

ومات بعدها الملك الفارع وتولى أبي مالك الحكم وفر الأمير طور ولم يعثر له على اثر وقيل قابع في إحدى سجون بالقصر أما الأمير قيس فلقد نفي خارج المملكة .

وبهذا استحوذ الأمير أبي مالك والذي أصبح الملك فارع الثاني ولقد جار علينا في حكمه وضيق على كل الناس في الأكل والشرب و التجارة حتى رحل من رحل وبقى من بقى أما نحن فأثرنا الرحيل أيضا .

تأسفت الأميرة كوثر عما حدث لقومها والمملكة ، ثم أردف عمارة قائلا : هل تعودين معنا إلى المملكة وسوفا نكون جنودك ومقاتليك وتعيد عرش أبيك ونزيح أبي مالك ونستعيد مملكتنا إلى سابق عهدها .

ولكن الأميرة كوثر رفضت وقالت : أنا هنا بأمر من الله والله لم يضيعني بل اعرض عليكم أن تعيشوا ها هنا واقتطع لكم الأرض لتبنوا بيوتا لكم وتكون هذه بلدتنا الجديدة

سعد عمارة وعرض الأمر على كل فرد في القافلة من رجال ونساء وقال لهم : ستكون هذه بلدتنا والأميرة كوثر ملكتنا وحاكمة لنا .

فرح الجميع وقال البعض ولتكون اسم بلدتنا كوثي فهو لقب أطلقته عليها والدتها الملكة عندما كانت صغيرة ، وبالفعل بدأت الأميرة في وضع تخطيط للمكان ليبني الناس بيوتهم بالعدل وبدون أي جور ، وجعلت البيوت بعيده عن خيمتها ومكان بيت الله بنحو خمسون ذراعا والأمر نفسه على البئر البر .

وبعد أن أصبحت لكل عائلة مكان لبناء بيت كبير وواسع بالتساوي وبحسب عدد أفراد الأسرة قالت لهم من يريد أن يملك ارض أخرى عليه أن يدفع على إن لا يمتلك أرضا على الطرق ولا في المناطق المحرمة .

وهكذا انشغل الجميع في الأيام التالية في بناء مساكنهم من حجارة الوادي وجروف الجبال المجاورة وجعلت أسقفها من جلد وأقمشة الخيام ، فلم تتوفر بعد جذع الشجر لبناء أسقف ومع هذا فلقد تشجع البعض في شراء فسائل النخيل لزراعتها في الوادي .

كما نصت الأميرة كوثر على وضع قانون لصيد الطيور والوعول يجب أن لا يكون في موسم التكاثر وان لا تصيد كل أسرة أكثر من حاجتها وكذلك حصص الماء كل يوم بقدر وبنت في مكان مجاور للحرم وخيمتها مصطبة بارتفاع ذراع عن الأرض وهي مربعة خمسة اذرع طولا وعرضا وبها جدار بارتفاع ذراع واحد من جميع الاتجاهات إلا فتحة بعرض ذراع ونصف من الجهة الشرقية لتكون مدخلا لهذه المصطبة التي بها مقاعد حجرية ملاصقة بالجدار لتكون مكان اجتماع الأميرة كوثر و ممثلين العائلات لحل أي مشاكل أو تقرير أي أمر يريدون وكأنها قاعدة الحكم في قصر ولقد وضعت أوتاد خشبية كبيرة في الجهات الأربعة لتوضع فوقها قماش خيمة وتكون سقف

تقـيهم الشـمس عنـدا الاجتمـاع ويمنـع العبـث بالمكـان أو اللعـب فيه من الأطفال .

وبهـذا تحـول الـوادي الفـارغ إلـى بلـدة صـغيرة تضـج بالحيـاة ، فيهـا أصـوات الطيـور والرجـال والشـباب يتحـدثون وأصـــوات صـــرخات وضـــحكات الأطفـــال وهـــم يطـــاردون بعضـهم ويلعبـون بـين البيـوت والنسـاء يعـددنا الطعـام ويغسـلن الملابـس ، وكانـت الأميـرة كـوثر وابنهـا سـميع الله يحضـون بـاحترام ومحبـة وتبجيـل مـن الكـل ، وكانـت البيـوت عـددها يقارب الأربعين .

بعـد أيـام أطلقـت الأميـرة كـوثر الوعـل الأنثـى بعـد شـفائها وحـذرت الجميـع بعـدم صـيد هـذه الوعـول فـي جبـل الكبيـر خلـف جبـل الصـفاء بمـا فـيهم الوعـل الأبـيض ، ثـم اجتمعـت بالنـاس وعـرفتهم بـدين الله الـذي أرسـل الله زوجهـا ابـي راحـيم لـيعلم النـاس ، فـامن قلـه مـن النـاس أمـا البـاقي فلقـد بقوا على وثنيتهم على أن لا يجبر احد أو يكره عن دينه .

ومـن بـين القلـة التـي آمنـت هـي عائلـة عمـارة فلقـد امـن هـو وزوجتـه جديلـة الـذين كانـا يقـدمان النـذور لمعبـداتهم ليكـون لهـم ولـد آخـر بعـد مـوت ابنهـا الرضـيع قبـل أعـوام ، وألان وبعـد إيمـانهم بـالله جـددا نـذرهم ولكـن لله وحـدة ليكـون لهـم ولـد ، ولقـد سـمعت الأميـرة كـوثر دعـائهم لله عنـدما مـرت بمنـزلهم ، رجعـت واعـدت أعشـاب يسـاعد النسـاء علـى الحمـل وأعطتـه لجديلة والتي واصلت على شرب منقوع العشب سبعة أيام .

وبعـد أشـهر حملـت جديلـة وأنجبـت ابنـة أسـمتها سـدفة لأنهـا أنجبتهـا فـي الثلـث الثـاني مـن الليـل (سـاعة العاشـرة مسـاء) ولقبـت ليلـى ، ولقـد غضـب عمـارة ولكـن كـتم غضـبه أمـام الجميـع فهـو يريـد مولـد ذكـر ومـع هـذا عمـت الفرحـة فـي بلـدة كـوثي لأنهـا أول مولـود يولـد فـي البلـدة لهـذا حضـت سـدفة بحـب جميـع مـن فـي البلـدة علـى رئسـهم الأميـرة كـوثر التـي اهتمـت كثيرا بتعطيرها بعطورها الخاصة .

ولقـد علمـت الأميـرة كـوثر الكثيـر مـن الرجـال والنسـاء صـناعة العطـور والأدويـة مـن الأعشـاب وكـذلك عـادة الأميـرة كـوثر إلـى شـغفها القـديم وهـو الصـيد والبحـث عـن الأعشـاب الصالحة لصنع العطور والعلاج .

الفصل السابع

عودة أبي راحيم لكوثي وإقامة عهد الله

عام 2954 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2952 ق م م

ومرات شهور وأعوام وازداد عدد سكان كوثي إلى ما يقرب من مائتان نسمة ولقد امن ما يقرب من ثلثي السكان بالله طواعيتنا ، ثم في عامهم الثالث لهم في كوثي والخامس للأميرة وابنها سميع الله الصبي البالغ خمسة أعوام وبضع شهور ، جاء ابي راحيم في قافلة مع مجموعة من عبيده لزيارة زوجته وابنه .

عندما شاهدة الأميرة كوثر ابي راحيم انساب من مقلتيها دموع الفرح فنادت ابنه سميع الله ثم حملته وذهبت به إلى زوجها وكانت الفرحة والزغاريد من أهالي كوثي لا توصف لترحيب بابي راحيم الرسول .

وبعد استقباله والضيافة من الجميع انعزل ابي راحيم الرسول في بيت زوجته وولده ثم سئل عن كل هؤلاء القوم من هم ؟ ومن أين ؟

أخبرته الأميرة كل شيء وسبب تسميت البلد بكوثي ، فحمد ابي راحيم الرسول الله وقال : الحمد لله الذي قبل دعوتي في السر عندما غادرت أول مره فلقد دعوت الله أن يجعل المكان امن وان يرزقكم من الثمرات وان تجعل قلوب الناس تطيب العيش في المكان .

وكان سميع الله سعيد ولكن حذر فهو لم يرى والده فلقد كان رضيع ابن بضعة أشهر عندما هاجرهم ، أما ابي راحيم الرسول كان يحتضن ابنه تارة وينظر في تفاصيله وجه وجسده تارة أخرى فلقد أصبح طفل قوي .

فقالت الأميرة كوثر لابي راحيم : هل أذن لك الله بالبقاء أما فقط لزيارة ؟

فقال : بل أمرني أن أتطهر واطهر من امن بالله حتى يقيم الله العهد بيننا وبينه .

الأميرة كوثر : وما العهد ؟ وما أتطهر ؟

ابي راحيم الرسول : حسنا ، لقد أمرني أن اطهر قلبي من أي شرك بالله بتوحيد الله ، وان اطهر جسدي وثوبي من أي نجس بالاغتسال والغسل بالماء ، وان اطهر نسلي بالختان الذكور والنكاح بالعقد ، وان اطهر اللسان بقول الحق وذكر الله وأمر بالمعروف وانهي عن المنكر ، وان اطهر أفعالي من العمل بالسوء وظلم الخلق ، فمن تتطهر بهذه الأشياء أصبح طاهرا ومسلم القلب والفعل والبدن وعندها سيقيم الله

العهد معه بان يبارك في حياة الدنيا وفي الآخرة ينجيه من العذاب ويدخله الجنة .
الأميرة كوثر : وهل يجب علينا أن نتطهر نحن معشر النساء لقيام العهد آم خاص بالرجال ؟
ابي راحيم الرسول : نعم الأمر ليس خاص بالذكور إلا في أمر الختان ما عدى ذلك فوجب التطهر حتى يقيم الله العهد معك .
الأميرة كوثر : وكيف تختن ابننا سميع الله الصبي ؟
ابي راحيم الرسول : سأعلمك وانأ اختن سميع الله .

وهكذا ختن ابي راحيم ابنه سميع الله الصبي أمام كبار القوم ممن امن بالله ليقوموا بختن نفسهم وأبنائهم ويقيم الله عهد الطهارة الخمسة ، ثم أقام ابي راحيم في كوثي أربعين يوما بلياليها يدعوهم فيها لله وتعليمهم الذكر والصلاة لله وحدة .

وجاء يوم الرحيل لابي راحيم الرسول من كوثي إلى فاران النبعين في جنوب غرب كوثي على بعد فرسخا ، ولقد اخبر زوجة كوثر عن حياته في فاران النبعين وان زوجته سرايا لم تنجب له ولد ولقد اعتاد الأمر ، وان ابن عمه لواءات قد صار أب لثلاث بنات الكبرى رايا ثم سرايا على اسم أخته والصغرى مليكا على اسم أخته الصغرى ، فلقد تزوجه من مرآة تدعى عموره ، وعمرهن أربعة و ثلاثة وعامين ، غير انه غير سعيد من أفعال قومه في سد الدماء ، فلقد ازدادوا فجورا وظلالا ، واني اخشي عليه منهم ، فهم قوما فاسقين .

وبهذه الأحداث والأخبار وانقضاء أربعين يوما ودع ابي راحيم الرسول زوجته الأميرة كوثر وابنه سميع الله الصبي وأهل كوثي جميع المؤمنون والوثنيون ولقد أصبحوا المؤمنون هم ثلاث أرباع السكان ، ودعاء لهم بالخير والبركة وحمد الله على ذلك .

ولقد أعطت الأميرة كوثر زوجها أعشاب علاجية لتساعد زوجته سرايا على الحمل ولقد قصة له حكاية جديلة زوجة عمارة وكيف أنجبت سدفة الملقبة ليلى بعد تناول العلاج ، وهي طبخ هذه الأعشاب ثم شربها كل يوم على مدى أسبوع ، وإنهم قبل زمن طويل كان لهم ابن وتوفى ولم ينجبان أبدا .

ولقد اخذ ابي راحيم الأعشاب وودع الجميع وركب راحلته وذهب إلى جنوب الغربي من كوثي حيث ارض فاران النبعين .

وفي فاران النبعين عندا وصول ابي راحيم اخبرهم عما شاهد بكل فرح في كوثي وإنها أصبحت من وادي فارغ يخشى فيه على أهله إلى بلدة تعج بالحياة أكثر من فاران النبعين وأكثر بركة وسكون ، ثم بعد ترحيب زوجته سرايا به أعطاها الأعشاب وقص له ما قالته الأميرة كوثر زوجته عن فعل الأعشاب وعن جديلة و زوجها عمارة وابنتهم سدفة الملقبة ليلى ، ولكن سرايا سخرت من الأمر وقالت : أن جديلة أصلا لم تكن عقيم وسبق أن أنجبت أليس هذا ما قالته كوثر ؟ لهاذ لست في حاجة للأعشاب ورمت بها بعيدا

ومـرت شـهور وأعـوام والأميـرة كـوثر سـمحت فيهـا لسكان كـوثي بحفـر آبـار علـى مسـافة مـن بئـر البـر وأصـبحت البلـدة تعـج بالقوافـل والتجـار والبيـوت وكانـت الأشـجار النخيـل والأعشـاب العطريـة تملـى الـوادي والتـي زرعهـا السـكان وأصبحت تجنى منها الثمار .

هـذا وقـد علمـت الأميـرة كـوثر ابنهـا سـميع الله الصـبي والبـالغ سبع أعـوام علمـت كيـف يصـطاد ويقاتـل ويركـب البغـال والحمير والجمال وصنع الأدوية والعطور من الأعشاب .

الفصل الثامن

حلم سميع الله الفتى بجبل أبي قبس والوعد

عام 2549 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)

فـي عامـه الثـامن اسـتيقظ سـميع الله الفتـى بـاكرا قبـل الجميـع ، شـرب المـاء وارتـدي ملابسـه واخـذ قوسـه وكنانـة السـهام وذهـب قبـل شـروق الشـمس صـوب جبـل الصـفاء ثـم لـم يصـعد الجبـل بـل تسـلق الجبـل الـذي خلفـه وكـان اكبـر مـن الصـفاء ويقـع جنوبـه وكانـت الأميـرة كـوثر قـد أحسـت بصـوت حركة ابنها برغم انه كان حريص أن لا تشعر أمه به .

وقـف سـميع الله علـى قمـة الجبـل ثـم جلـس وهـو ينظـر فـي السـماء ثـم الآفـاق الأرض مـن حولـه ، وكانـت أمـه الأميـرة كـوثر قـد أخـذت قوسـها وأسـهمها وتبعتـه أيضـا حتـى وصـلت إليـه فحييتـه ثـم سئلت عـن سـبب صـعوده الجبـل هـل شـوقا لأبيـة الـذي يسـكن فـي جنـوب الغربـي لهـذا الجبـل علـى بعـد فرسـخا حيـث ارض فـاران النبعـين ، ولكـن رد سـميع الله الصـبي وقـال

لهـا : لا يـا أمــه ، نعـم اشـتاق لأبـي ولكـن مـا جعلنــي اسـتيقظ واتي لهذا المكان هو حلم حلمت به .
الأميرة كوثر : وما هذا الحلم ؟
سـميع الله الفتـى : لقـد حلمـت أنـي واقـف علـى هـذا الجبـل ولكـن فـي زمـن غيـر هـذا الـزمن بـل زمـن الأول ، حيـث رأيـت أنــاس يشـبهون البشـر ولكـنهم لـيس مـن بنـي ادم بـل كـانوا كالشـياطين فـي أفعــالهم ، ملئــوا الأرض بــالظلام إلا هــذا الجبــل ومــا حولــه فلقــد كانــت الملائكــة تمــنعهم مــن الاقتــراب وتقتــل كــل مــن يقتـرب حتـى لا يـنجس هـذا الجبـل ويصـبح مظلمـا ، فلقـد ظـل هـذا الجبـل مضـي كـالنور ، ثـم يـأتي ملـك عظـيم ملـئ الآفـاق بجناحيــة واخــذ قــبس مــن هــذا الجبــل المضــي فلقــد كانــت تربتــه مضـيئة ثـم صـعد بهـا إلـى السـماء وقالـت الملائكـة علـى الجبـل لقــد حــان عهــد الله بــان يجعــل فــي الأرض خليفــة ولقــد اخــذ تـراب مـن هـذا الجبـل الطـاهر ليخلـق جسـد ذلـك الخليفـة وهـو ادم أول الخلفـاء لله ، ثـم نـزل الملـك الـذي اخذ التـراب وقـال لـي : أنـت هـل تحـب الله أكثـر مـن نفسـك ؟ ، قلـت لـه : نعـم ، فقـال : وهـل حبـك يجعلـك تعـد الله انـك ستضـحي بنفسـك مـن اجـل الله إذا شـاء ؟ ، فقلـت : نعـم اعـد ، فقـال لـي : هنيئـا لـك يـا سـميع الله ، ثم استيقظت ، وها أنا هنا على هذا الجبل .
خافـت الأميـرة كـوثر مـن قصــة الوعـد ولكنهـا سـعدت بـان ابنهـا ربمـا سـيكون كـابيـة نبيـا رسـولا ، ولقـد قالـت لابنهـا : حسـنا ، بمـاذا سـوفا نسـمي هـذا الجبـل والـذي سـوفا امنـع فيـه الصيد وقطع النبات أو حتى السكن فيه .
سـميع الله الفتـى : بمـا أن أبـى البشـر ادم خلـق مـن قبسـه تـراب هذا الجبل فليكون اسم الجبل أبي قبس .

الفصل التاسع

المهرة براق وسميع الله والأميرة كوثر

عام 2949 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2948 ق م م

وفـي قمـة جبـل أبـي قـبس وعنـدما هـم سـميع الله الصـبي وأمـه الأميـرة كـوثر بـالنزول شـاهدوا غـرب جـرف الجبـل جيـاد ترعـى قـي الشـعب الغربـي الكبيـر والصـغير وكـان فـي أقصـى شـعب الصـغير مهـرة صـغيرة بيضـاء قـد انفـردت بهـا خمسـة ذئــاب لافتراســها ، نــزل ســميع الله بســرعة واســتل القــوس و الســهم وصــوب نحــوى الــذئاب فقتــل الأول وخافــت الأخــرى وحولـت نظرهـا نحـوى سـميع الله وكشـرت عـن أنيابهـا لتهاجمـه وكانـت الأميـرة كـوثر قـد اسـتلت هـي الأخـرى قوسـها وسـهمها فأصــابت الــذئب الثــاني فــي مقتــل ثــم صــوب ســميع الله الســهم الثــاني وأصــاب الــذئب الثالــث بإصــابة بليغــة أمــا الرابــع فقتلتــه

الأميرة كوثر بسهم قاتل ليهرب الخامس مذعورا ، وأجهز سميع الله على الذب المصاب ثم اقترب من المهرة التي تعرضت لجروح بليغة في نحرها ولقد كانت مرتبكة وتحاول الفرار ولكن ساقها الخلفية اليمنى كانت عالقة بين صخرتين .

خلصت الأميرة كوثر ساق المهرة من بين الصخرتين وأرادت أن تطلق سراحها ولكن سميع الله رفض وارد أن يعالجها ويربيها لتكون مطيته .

لقد كان يظن في ذاك الزمن إن الجياد هي مطايا الجان لأنها قوية وبرية وسريعة ولا يمكن صيدها أو ترويضها لأنها ملك الجان وهذا يجلب البلاء على من يفعل هذا إلا أن سميع الله لا يؤمن بهذه الخرافات لهذا أصر على تربيتها برغم أن أمه نصحت بان يطلق سراحها .

فعاد سميع الله وأمه إلى بيتهم وربط المهرة وصار يعالجها ثم قدم لها ماء والطعام .

بعد أشهر كبرت المهرة وكان سكان كوثي يحذرون سميع الله من المهرة فهي مطية الجان وسوفا يأتون ويطالبون بها أو ربما ينتقمون من الجميع ولكن سميع الله لا يكترث لقولهم فذهبوا إلى سيدتهما الأميرة كوثر إلا أنها قالت لهم هذه أساطير الأولين لم يقرها الله إن كنتم إياه مؤمنين .

فقال اغلب القوم لها : نحن نبرئ من هذه المهرة وكوني أنت وابنك شاهدة على هذا إن جاء صاحب المهرة من الجان

فضحكت الأميرة كوثر وقالت : كلانا نشهد على براءتكم .

ثم نظر سميع الله الفتى إلى أمه وقال وهو يبتسم : لقد اتخذت لها اسم وهو البراق لأنها بيضاء وسريعة كالبرق .

وبعد نصف عام ، كان سميع الله قد اعتاد امتطاء البراق ولقد اعتادت البراق على سميع الله حتى انه لم يعد يحتاج لربطها لكي لا تهرب بل أصبحت تصرح بين بيوت كوثي وكان القوم يهابونها ويفسحوا لها الطريق ، إما سميع الله فلقد كان يخرج بها إلى البراري ليصطاد بها الطرائد في الشعاب والوديان .، ووصف القوم سميع الله بالفارس الفتي والبراق بالفرس .

وفي ذات يوم اقترحت الأميرة كوثر على ابنها سميع الله بان يربط البراق بحبل طويل في إحدى شعبي الأجياد لان الربيع قد حل وهو موسم قدوم الجياد إلى الشعبي لترعى ككل عام ، وبهذا ربما تتزاوج مع احد الأجياد وتنجب له ، ولكن يجب أن يبقى بعيدا ويرقبها فربما تأتي الذئاب وتجدها صيد سهل .

وبالفعل أعجب سميع الله باقتراح أمه وظل أسبوعا كاملا حتى خصبت الفرس ثم أعادها إلى زريبة في كوتي مخصصة للحمير والجمال وركن صغير ومنعزل لبراق .

ولم يمضي عام حتى أنجبت البراق مهرين قويين انشغل بتربيتهم وإطعامهم مع أمه حتى شبا وصارا قويين فأهدى لامه واحد واحتفظ بالآخر لأبيه عندما يأتي لزيارتهم

الفصل العاشر

الجبال الخمسة المباركة ورحلة سميع الله والأميرة كوثر

عام 2948 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2947 ق م م

شهرا ويتم سميع الله عامه العاشر إما الأميرة كوثر فلقد أتمت عامها الثامن والعشرون ، كانت فتيه وقوية وفارسها لا يشق لها غبار .

وفي فجر ذات يوم استيقظ سميع الله من نومه فنهض واغتسل وصلى لله ثم تناول بعض الماء والحليب وقطع من القديد ثم خرج من بيته نحوى الزريبة فوجد الأميرة كوثر أمه هناك تطعم جوادها فقالت له وهو قادم : هل تفقدتني في البيت فخرجت لتبحث عني ؟

فقال : لا ، كنت أظنك نائمة فأردت أن اخرج دون أن أزعجك .

الأميرة كوثر : ما أيقظك ولماذا تحمل سلاحك ؟

سميع الله : حلم حلمت به عن خمسة جبال مباركة كبركة بيت الله الحرام .

الأميرة عن أي جبال تتحدث ؟

سميع الله : قبل أن أخبرك أسرجي حصانك وأنا أسرج فرسي وتخبرين ما أيقظك .

الأميرة كوثر : اعتدت الاستيقاظ باكرا منذ إقامتي في هذا المكان ولكن حلمت وكأن أبيك قادم لزيارتنا في ركب عظيم لأمر عظيم .

سميع الله : حسنا ، بما أننا سرجنا جوادين فلنذهب إلى حيث أخبرك وفي الطريق سأقص عليك الحلم لجبال الخمسة .

وهكذا وهما على صهوتي جودهما قص سميع الله الحلم لأمه الأميرة كوثر فقال : رأيت في الحلم أن جبل أبي قبس أول الجبال بركة وحرمة ومن جرفه ولد جبل الصفاء وهو مبارك أيضا وله حرمة ومن الصفاء انبسطت الأرض لتكون مكان بيت الله الحرام لينتهي عندا جبل المروى هكذا اسمه في الحلم ولكن لنقل جبل الارتواء ، فهو الجبل الثالث المبارك وله حرمة .

الأميرة كوثر : همم ، حسنا وما الجبلين الباقيين ؟

سميع الله : لهذا ركبت الفرس ، ففي الحلم أن الجبل الرابع هو على بعد فرسخا شرق جبل المروى .

وانطلقوا وهم يتحدثون عن الأيام الخالية وعن البلدة وسكانها حتى وصلا إلى الجبل فقال سميع الله : هذا هو الجبل الرابع المبارك وله حرمة ، ففي الحلم قيل لي انه جبل الأمنيات لان هنا يمكن للعبد أن يتمنى على الله ما يريد
ثم قال بعد أن غادرا الجبل ودعاء الله بما يريدان ويتمنيان : الجبل الخامس هو حد الأقصى لهذا الأرض المباركة ولقد قيل لي إن هذا الجبل هو جبل رحمة الله ففيه يحط الله الخطايا عن عبادة ، فهو جبل رحمة الله وجبل حطة الخطايا ، ففيه يعرف العبد خطاياه ورحمت الله لذا فهو جبل مبارك وجبل له حرمة .
ثم بعد أن صعدا الجبل أصبح سميع الله يبحث فقالت له الأميرة كوثر : عما تبحث ؟
فقال : رأيت في الحلم إن ملاك قد نزل من السماء حاملا صحن من ذهب في وسطها صخرة بيضاء بحجم رأس فرس ، قد تبقت من تربة التي خلق منها ادم ، التربة التي أخذت من أول جبل جبل ابي قبس فلقد تحجرت وبقت في السماء منذ زمن خلق ادم إلى يومنا هذا ، فهي من تراب أبي قبس التي مزجها الله بيد قدرته بماء تحت العرش فخلق من اغلبها ادم في الأرض وما تبقى يفترض أن تنزل هنا في الحلم .

كانت الأميرة كوثر منذهلا بكل ما يقوله ابنها سميع الله مع هذا فإنها تؤمن أن ابنها لبد انه سيصبح كوالده نبيا ورسولا ، لهذا بحثت معه مطولا عن الصخرة حتى قارب النهار على الانتصاف فقفلان راجعين إلى كوثي لعل أمر الله أن لا يكون سميع الله هو من يجدها ؟

الفصل الحادي عشر

عودة ابي راحيم الرسول وبناء بيت الله

عام 2947 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)

بعد رحلة قامت بها الأميرة كوثر وابنها سميع الله وصلا لجبل الارتواء حيث قالت الأميرة كوثر : لم يعد مقبولا أن يبقى اسم الجبل الارتواء فليكن مروى كما قيل لك
ضحك سميع الله وقال : فليكن مروى كما اخبرني ملاك الله
ثم تفاجئوا بقدوم نفر من أهل كوثي وهم في حالت ذهول فقالت لهم الأميرة كوثر : ماذا ؟ هل حدث أمر جلل لتكون وجوهكم مرتعبه ومذهولة ؟

فقال احدهم : لقد استيقظنا وافتقدناكم ثم افتقدنا الجوادين فقلنا ربما الجان قد انتقموا منكم وأخذوكم لأنكم أخذت مطيتهم .
انفجرت الأميرة وابنها سميع الله بالضحك ثم قال سميع الله : بعد كل هذا الزمن ما تزالوا تصدقون هذه الأسطورة ؟
فشعر النفر بالحرج فقال آخر : على كل حال نحمد الله على سلامتكم ، ولكن بحثنا عنكم لان ابي راحيم الرسول جاء وأهله إلى كوثي ولقد نصبوا خيامهم عندا جبل ابي قبس منذ بضع ساعات .

انطلقت الأميرة كوثر وابنها سميع الله وهما على صهوة الجوادين صوب مخيمات أبي راحيم ، وفي الطريق شد سميع الله لجام فرسه وتوقف ، فشدت الأميرة كوثر لجام جوادها أيضا وتوقفت واقتربت منه وقالت : ما بك ؟ هل أنت بخير ؟
سميع الله : نعم ، لقد رأيت وكأني أنا وأبي نحمل حجارة لبناء بيت الله وكانت الحجارة من جبل آبي قبس .
ابتسمت الأميرة وقالت له : لقد ارتعب وظننت أن مكروه أصابك ولكن ربما هي رؤية لأمر يريده الله منك ومن أبيك .
ابتسم سميع الله وأكمل الطريق مع أمه إلى الخيام وهناك التقى بابيه واحتضنه ورحب بالكل وكان كل أقارب ابي راحيم وزوجته سرايا قدموا وهم في حالة يرثى لها فلقد توقف نبعين فاران من أشهر ، وغارت مياه حتى أصبحوا يستخدمون الدلاء لسقي أنفسهم والدواب ، ولكن سبب القدوم هو لبيع بعض المواشي والملابس بالإضافة لزيارة كوثي البلدة التي ذاع صيتها في كل الأمصار .

وخرجت سرايا من خيمتها وكانت منهكة وتبدوا اكبر من سنها من المحنه التي تعرضت له ارض فاران ، فهي تبلغ من العمر ثمانية وأربعون عاما ، خرجت لتشاهد الأميرة كوثر لا تزال شابه فتية وفارسة بكامل ملابس الفارسات بجوار حصانها ، فتحركت غيرة النساء في قلبها وأرادت أن تعود إلى خيمتها ألا أن الأميرة كوثر نادتها واحتضنتها ورحبت بها في كوثي واشترطت عليها أن لا تقيم في خيمتها طالما بقيت في كوثي بل في بيت من حجارة وطين وخشب تملكه الأميرة لضيوفها المهمين ، وكانت سرايا تريد أن ترفض لولا قبول ابي راحيم بهذا .

بعد مرور يوم من استقرار أهل فاران قدم سميع الله لأبيه جواد هدية له وكان سعيد جدا به ، ثم قال لابنه وزوجته الأميرة كوثر : لقد جاني صباح هذا اليوم أمر من الله بان ارفع قواعد لبيته الحرام في هذا المكان المبارك أمام بيتكم .
قالت الأميرة كوثر : أذا لنساعدك على البناء .
ابي راحيم : كلا ، فلم يأتي الأمر بان يساعدني احد .
سميع الله : إذا انأ أساعدك ، فلقد رأيت رؤية بالأمس وكأني ارفع معك الحجارة لبناء قواعد البيت .
ابي راحيم : إذا رأيت ذلك فهذا يعني انك مساعدي .

وهكذا نادت الأميرة كوثر في أهل كوثي بان يحملوا الحجارة بقرب من بيتها ليقوم ابي راحيم زوجها وسميع الله ابنها ببناء قواعد لبيت الله الحرام كما أمر الله .
ولكن سميع الله قال لأمه : يجب أن تجمع الحجارة من جبل ابي قبس كما رأيت في الرؤية ، وليس من أي جبل آخر .
وافق ابي راحيم على الأمر ونادت الأميرة فيهم بان تكون الحجارة من جبل ابي قبس .
وفي هذه الأثناء انشغل ابي راحيم وابنه سميع الله في تنظيف المكان وما حوله من كسر الحجارة وبقايا الأعشاب والمواشي .
وصار أهل كوثي كبيرهم وصغيرهم يأتي بالحجارة ، وابي راحيم وابنه يقومون بالبناء أما الأميرة كوثر فلقد اهتمت بصنع الطعام وأمرت نساء البلدة بصنع الطعام لرجال ، ثم تفرغت الأميرة بصنع كمية كبيرة من ماء الورد والبخور .
وبعد أن شارف النهار على الانتهاء اكتمل بناء قواعد البيت بارتفاع ذراعين ، فلقد وقف ابي راحيم على حجر مرتفع لوضع آخر الأحجار التي تناولها من ابنه سميع الله .
ثم اغتسل ابي راحم وابنه والقوم واعدوا مأدبة كبيرة جلس فيها جميع من في البلدة كوثي وأكلوا وشربوا ثم قامت الأميرة كوثر بتبخير البيت وأمرت بعض النسوة برش البيت والأرض التي حوله بماء الورد ، ثم أقيمت الصلاة وآم ابي راحيم بكل المؤمنين ، بعد أن أوقدت المشاعل في كل مكان من بلدة كوثي .
ثم جلس القوم يتسامرون مع ابي راحيم الرسول حتى انتصف الليل وهو يحكي لهم عن الله والملائكة والملكوت وإخبار من سبقه من الأنبياء والمرسلين ، وبعدها ذهب الكل إلى بيته سعيد وشبعان برغم من التعب
وفي اليوم الأول من بناء بيت الله الحرام أعدت الأميرة كوثر وصفه طبية التي سبق أن أعدتها لسرايا لتنجب ولكن هذه المرة أقسمت الأميرة كوثر على سرايا بان تشرب كل يوم رشفه من الدواء لمدة عشرة أيام فقط وسوفا يحدث ما تتمني .
ولكن سرايا كانت متشائمة في أمر الحمل والإنجاب وقالت : ولكن لم يعد الأمر نافعا لمن في مثل سني .
الأميرة كوثر : أنت لا تخسير شيء ، إذا نجح الأمر وهو ما سيحدث بإذن الله فسيكون خيرا لك وإذا لم ينجح الأمر لا سمح الله فليس هناك ما تخسري والله لم يخيب لي رجاء .
فوافقت سرايا مكرها ولكنها جاملت الأميرة فهي في ضيافتها .

الفصل الثاني عشر

رحلة إلى الحجر الابيض

عام 2947 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)

في فجر يوم الثاني من بناء بيت الله الحرام استيقظ ابي راحيم الرسول دون أن يلاحظ احد واغتسل وتوضئ لصلاة عند البيت ثم هم بالنهوض ليجد ابنه سميع الله وزوجته الأميرة كوثر عند طرف البيت يتحدثان ، ذهب إليهما وأراد ان يعرف سبب استيقاظهم ، فقالت له الأميرة كوثر : لقد اعتدت انأ وابني على الاستيقاظ باكرا ، ولكن ما أيقضك ؟

ابي راحيم : لقد رأيت رؤية من الله تأمرني بان اجلب حجر من نور أنزلته الملائكة من السماء على جبل في أقصى الشرق .

ضحك سميع الله وقال لأمه : انه الحلم الذي رايته من قبل والحجر الذي بحثنا عنه لم أكن انأ المقصود بإيجاده بل ابي

الأميرة كوثر : نعم نعم ، لقد اكتملت القصة إذا .

ابي راحيم : أي حلم ؟ وأي قصة ؟

فقصا عليه القصة كاملة وبعدها احضروا الجياد والطعام وانطلاق الثلاثة إلى جبل الرحمة حيث سيكون الحجر هناك .

وهكذا واصلوا السير إلى جبل الرحمة الذي يبعد ثلاث فراسخ وقد أصبح الوقت ضحى عندما وصلوا لجبل الرحمة هناك ارتجلوا من على صهوة الجياد وشربوا الماء وأمر ابي راحيم ابنه و زوجته بالبقاء وهو سوفا يصعد الجبل ليجد الحجر ، وبالفعل لم يمضى إلا قليلا حتى دله ملاك الله على مكان الحجر ، فناداه ابي راحيم زوجته و ابنه ليساعدوه على حمل الحجر والنزول به ومن ثم وضعه في قماش وربط بين جوادين جواد الأميرة كوثر و سميع الله وانطلقوا قافلين نحوى كوثي ويتقدمهم ابي راحيم وهم على ظهور الجياد .

عندما دخل الثلاثة كوثي ظهرا انبهر الجميع من النور الذي يشع من الحجر وكانوا يتساءلون عنه حتى وصلوا لبيت الله وهناك حمل ابي راحيم وابنه الحجر ووضعوه في الجهة الجنوبية من البيت ثم رفعة ابي راحيم ووضعه في الزاوية البيت التي تقابل جبل ابي قبس .

ثم اغتسل الثلاثة واعد مأدبة غداء جمع فيها أهل كوثي وبعدها قص لهم ابي راحيم قصة الحجر وانه مبارك .

الفصل الثالث عشر

الحج العظيم

عام 2947 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)

في اليوم الثالث لبناء بيت الله الحرام ، كان ابي راحيم يصلي وبجواره ابنه سميع الله وزوجته الأميرة كوثر وعلى يساره زوجته سرايا ، وقف وقال : لقد أمرني الله أن آذن في الناس بحج البيت .

فتساءل الثلاثة وكيف ذلك فقال لابنه : اعني على الصعود فوق مصطبة البيت ، ثم قال وهو فوق مصطبة البيت وهي قاعدته (الله اكبر الله اكبر ، اشهد أن لا اله إلا الله ، واشهدوا أني رسول الله ، حي على حج بيت الله ، حي على حج بيت الله ، الله اكبر الله اكبر ، لا اله إلا الله) .

ثم كرر هذا النداء سبع مرات في كل اتجاه ، حتى اجتمع أهل كوثي وقص لهم أمر الله وأركان الحج ولكن لم يفهم اغلب الناس فقال لهم بعد ثلاثة أيام سوفا أقوم بالحج بنفسي فاتبعوني وافعلوا ما افعل واذكروا ما اذكر .

وفي الأيام الثلاثة جاء أناس من أماكن بعيدة قد سبق أن امنوا بدعوة ابي راحيم منذ سنين ، فلقد قالوا أنهم سمعوا منادي لهم بالحج إلى بيت الله في بلدة كوثي فآتينا .

هذا وعلمهم لباس الإحرام يكون قطعتين من القماش الأبيض واحد يكون إزار والثاني رداء ، أما النساء فرداء ابيض طويل على طول الجسم ، ولقد شاهد ابي راحيم ليلة الأمس رؤية أفزعته وهي انه يقوم بتقديم ابنه سميع الله كأضحية لله ولقد اعتقد إنها رؤية شيطانية فاستعاذ بالله واستيقظ وبعدها بداء في طقوس الحج وقال للناس اتبعوني .

ولقد بدء بالطواف حول البيت سبعة مرات ويبدءا الطواف من الحجر الأبيض يلمسونه ثم يكبروا الله وبعدها تبدءا أذكار الحج ، وبعد أن أتموا الطواف أمرهم بان يتبعوه بالسعي بين الجبلين الصفاء والمروى سبعة مرات حتى انتصف النهار وبعدها قال لهم كلوا واشربوا وحملوا على

دوابكم خيامكم لأننا سوفا نذهب إلى جبل الأمنيات ونبيت هناك وفي الطريق اذكر ما اذكر .

وفي جبل الأمنيات غربت الشمس فقال لهم انصبوا خيامكم ولتكون النساء والصغار مع بعض والرجال والشباب مع بعض فلا نكاح طيلة أيام الحج ، وفي هذا الجبل تمنوا على الله ما تريدون ، وكانت الأميرة كوثر هي القيمة على النساء والصغار ، أما الرجال والفتيان فكانوا مع ابي راحيم الرسول .

وفي الفجر استيقظ ابي راحيم مفزوع من الرؤية التي تكررت فقال في نفسه ربما رؤية حق أو باطل وظل في حيرة ولكن جاء الملاك جبريل وقال له : أمر الحجاج أن يستيقظوا ويذهبوا إلى وادي الذي أمامك واجعلوا الخيام فيها وخذوا زادكم من ماء وطعام فقط ومنه إلى جبل الرحمة .

وهكذا أمرهم ابي راحيم بإتباعه إلى جبل الرحمة وهم يذكرون ما يذكر وفي جبل الرحمة قال لهم : هنا قول لله حطه لنا ذنوبنا وخطايانا وأدعو الله كثيرا فهذا جبل الرحمة يرحم الله من يدعوه ويحط عنه الذنوب ، وكان سميع الله وأمه الأميرة كوثر يسبحون الله على أن الله قد صدق أفعالهم فجعلها مناسك لله .

أما ابي راحيم فلقد اعتزل على الناس فوق إحدى الصخور في جبل الرحمة وكان يدعوا الله أن يغفر له وان لا يكون شقيا ، فلقد كان في ريب مما شاهد من الرؤية التي تكررت للمرة الثانية ، وهنا تجلى الله لابي راحيم واراه ملكوت السماوات والأرض وهدى من روعة وقال له أنت خليلي .

وعرف ابي راحيم الله فقال لابنه أن هذا الجبل بحق جبل الرحمة والمعرفة ففيه رحمني الله وعرفته ، وقص على ابنه أن الله جعله خليلا .

وعندا الغروب أمر ابي راحيم الناس بالنزل من جبل الرحمة والذاهب إلى وادي حيث الخيام ، واتبعت النساء والصغار الأميرة كوثر والرجال والفتيان مع ابي راحيم وسميع الله ، ولقد وصلوا في زلفة الليل أي منتصفة وهناك نصبوا خيامهم ونام الجميع من الإنهاك والتعب .

استيقظ ابي راحيم مثقلا ومهموم ، فلقد تكرر الحلم للمرة الثالثة وإنها ليس من الشيطان بل أمر الله ، لان اليوم عليه أن يتوجه إلى جبل الأمنيات ومنها إلى جبل المروى حيث عليه أن يأمر الناس أن يقدموا أضحيتهم لله من المواشي ، أما هو فعليه أن يضحي بأنه الوحيد لله .

وفي الصباح أمر الحجاج بان ينطلقوا إلى جبل الأمنيات ومنه إلى جبل المروى حيث يقدموا أضاحيهم لله .

كان الناس سعداء فلقد اقترب انتهاء مناسك الحج وتقديم الأضاحي لله لذا هموا بسرعة إلى فك الخيام وتحميلها على ظهور الحمير والجمال وانطلقوا ذاكرين الله إلى جبل الأمنيات ومنه إلى جبل المروى وكان يتقدمهم ابي راحيم ولكن كان مهموما وفي الطريق بين جبل الأمنيات وجبل المروى ظهر لها إبليس ونفر من ذريته يشمتون فيه وفي ما سيحل بابنه سميع الله ، فاستأذن ابي راحيم من الله لكي

يرجم الشيطان وأعوانه فنزل الملاك جبريل واقر له وأمره بان يأخذ سبع حصوات صغيرة ويرميها فيهم وتقوم الملائكة بإصال الحجرات على إبليس وذريته وأمر ابي راحيم أن يكرر ذلك مرة ثاني بحصوات اكبر ثم ثالثة واكبر مع تكبير الله مع كل رمية حصة ، ولتكون جمرات تكوى بها الشياطين ، ولقد فعل الحجاج فعل ابي راحيم واقر الله فعلهم وجعلها منسك لهم إلى آخر الزمان .

ولقد كانت الملائكة توجه ابي راحيم برمي الحصوات على صخرة كبيرة في المرة الأولى وصخرة ثاني ثم صخرة ثالثة ومن تلك الصخور تصل لكل شيطان مريد .

ثم توقف ابي راحيم وقال للحجاج : ألان اذهبوا وقدموا لله أضاحيكم ، وفرح الناس وذهب الكل .

ثم امسك بيده ابنه سميع الله وقال له : ابقي أنت .

لاحظت الأميرة كوثر وقوف زوجها وابنها ، فقالت لسرايا : قودي أنت النساء والصغار وسوفا نلحق بكم ، ثم قالت : ما الأمر ؟

فقص ابي راحيم الرؤية على ولده الوحيد سميع الله وزوجته كوثر ، فقال سميع الله : انه الوعد فلقد وعدت الله قبل سنوات إني أعده بان أضحي بنفسي لله وأنا يا أبي لن اخلف وعدي مع الله فافعل ما تأمر .

كان الأمر نزل على الأميرة كوثر كالصاعقة فوقفت مغمضة العينين ثم فتحتها وقالت لله : يا الله لم تخذلني يوما وكنت في عوني في أصعب أيام وسنين حياتي ، وها انا أقف أمامك ، فلا تفجعني في ولدي وأنت الرحيم الحكيم وان كان أمرك ماضي فاقبضن قبل ولدي .

ثم نظرت في ابنها وزوجها وقالت : الأمر لله والله لا يضيعني ، . ثم ذهبت بقرب جبل المروى وجعلت مسافة بينها وبين زوجها وولدها خمسون ذراعا خلفها .

هناك سال الدمع من ابي راحيم وهو ممسك بالسكين وابنه سميع الله مضطجع ويقول لله ، ارجوا أن لا أكون بدعائك شقيا ، وكان يكرر الأمر ثم أمضى السكين على عنق ولده ليذبح ولكن السكين لم تمضي !

فقال سميع الله : أبي شد عزمك وافعل ما تؤمر فلن اخلف وعدي لله ولا تخلف أمره لك .

فحاول أكثر من مره وكان السكين حادا فقال لابنه اقسم إني أقوم بما أمر الله ولكن السكين لا يمضي .

وفي هذه الإثناء شاهدة الأميرة كوثر الوعل الأبيض الذي أصبح كبش عظيم قد نزل من جبل المروى متجه إلى زوجها وابنها .

أما ابي راحيم وسميع الله فلقد شاهدان الملاك جبريل ينزل عليهم من السماء فقال لابي راحيم : توقف فلقد صدقت الله في أمره ويفديك بكبش عظيم ، ثم التفت إلى سميع الله وقال له : قم لقد وفيت بوعدك لله ثم قال السلام عليكم أل ابي راحيم ورحمة من الله وبركاته ، ثم قال : إنا الله سيبارك ابنك و وحيدك سميع الله ويجعل ذريته أمه عظيم ومنها سيختم رسالاته على حبيبه النبي الخاتم والرسول الكامل احمد من نسل ابنك ، ثم حلق في السماء واختفى .

ولقد شاهدة الأميرة كوثر الملاك وقالت : انه ملاك الخير ملاك الماء ، ماذا قال لكم ؟

فقصا عليها الخبر ، ثم جاء الكبش العظيم الأبيض فقالت لسميع الله لقد ولد يوم ميلادك يا بني ولقد سقيتك من حليب أمه ، وهاهو يفديك الله به .

ولقد اضطجع الوعل الكبير الأبيض على جنبه وأغمض عينية ، فتقدم ابي راحيم وضحى به لله ، وقالت الأميرة كوثر لزوجها : استأذن لي لله بان احتفظ بجلد هذا الكبش حتى يكون لي ذكره لرحمة الله بينا .

فقال ابي راحيم إن الله لا يأكل ولا يحتاج للأضحية بل يقبل التقوى من عبادة ، والأضحية ثلثها لفقراء وثلثيها لصاحبها

ثم أكمل ابي راحيم ما تبقى من الحج واحتفظت الأميرة بجلد الوعل ، أما سميع الله فلقد جعل من قرني الوعل العظيمة على رئس البراق كزينة لها أثناء الصيد



وعل الفداء (الكبش العظيم)

الفصل الرابع عشر

البشرى والنجوى

عام 2947 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)

أمر ابي راحيم عبيدة بنقل أثاثه وكل أملاكه من البيت في كوثي إلى خيمته تجهيزا للمغادرة إلى فاران في الغد الباكر ، وأثناء جلوسه في الخيمة جاء ابنه سميع الله يخبره بان هناك ثلاث رجال ليس عليهم سمات السفر مع إنهم غرباء يريدون لقائك .

فقال ابي راحيم لابنه : أمر احد العبيد بان يذبحوا لهم عجل ويعدوا الطعام .

ذهب سميع الله لتنفيذ ما أمر أبيه ، ثم جلبت الأميرة كوثر بعض العطور والبخور والأقمشة لزوجها ابي راحيم وسرايا ، فقالت سرايا : لقد انتهت مدة شرب الدواء وكما قلت لا شيء .

الأميرة كوثر : المهم صحتك أصبحت أفضل وهذا كافي ، أما الإنجاب بيد الله لعلة يحدث بعد ذلك امرأ .

ثم ذهبت الأميرة كوثر ولم يرد ابي راحيم بل خرج أمام خيمته وجلس في انتظار الضيوف القادمين من شرق بلدة كوثي ، وفي هذه الأثناء نحر العجل وبدا في تقطيع اللحم وإشعال النار ليوضع اللحم في حفره بها الجمر ثم يغطى حتى تنضج بسرعة .

ثم جاء الضيوف الغرباء الثلاثة فاستقبلهم ابي راحيم في خيمته في المضافة حيث يفصلها عن باقي الخيمة رواق كانت سرايا تسمع من خلالها الضيوف لعلى هناك خبر عن أخيها لواءات ،

جاء الخادم بالطعام وهو حنيذ بلحم العجل فقدمه لضيوف وقال لهم : تفضلوا .

ولكن لم يتقدم أي من الضيوف نحوى الطعام أو حتى مد يده ، فخاف ابي راحيم من الأمر فلقد كانت من عادت العرب إذا آبى شخص أن يأكل من طعامك أو يشرب من شرابك دون سبب يعني طالب ثائر منك او من احد من أهل بيتك ، لان إذا أكلوا فمن العار رفع سيفهم او طلب لدم .

فقال ابي راحيم لهم : من انتم ؟ وفيما قدومكم وعدم تقبل ضيافتي ؟

فقال احدهم : لا تخف ، نحن ملائكة ربك أتيناك لنخبرك بهلاك أهل سد الدماء ، فلقد إذن لنا الله بهلاكهم .

سمعت سرايا الخبر فخافت على أخيها فخرجت من وراء الرواق لتعرف ما مصير لواءات ، وكذلك ابي راحيم فقال لهم : ولكن فيها رسول الله لواءات ابني عمي ، أيهلك معهم ؟

فقال الملاك : نحن نعرف من فيها وما وجدنا فيها من الصالحين إلا بيت ابن عمك ، وان الله أمرنا أن ننجيه وأهله إلا زوجته فلقد كانت تخونه كباقي أهلها .

استراح ابي راحيم من الخبر وكذلك سرايا التي تنهدت وحمدت الله وصرت بالخبر ، فالتفت إليها احد الملائكة وقال لها ولابي رحيم : أن الله يبشركم بغلام .

حمد ابي راحيم الله وسر جدا ولكن سرايا كانت قانطة من هذا الأمر وضحكة وهي تلطم وجهها وقالت بسخرية : ألد وأنا عجوز عقيم ؟

غضب الملاك وقال لها بحزم : هذا قول الله انه هو الحكيم العليم .

صمتت سرايا ، أما الملائكة الثلاثة فلقد سلموا على ابي راحيم وغادروا ، وهنا سر ابي راحيم فلقد انجي الله ابنه وفداه بكبش عظيم وأتم الحج وقبلها بنى قواعد البيت وهاهو الله يبشره بغلام آخر من صلبه ويطمئن على ابن عمه ، وكانت سعادته لا توصف فاخبر الكل فنادت الأميرة كوثر

في أهل كوثي بان اليوم عيد ولقد جاءت إلى سرايا وقالت لها : الم اقل لك إن الله يحدث بعد ذلك امرأ ، وهاهو أمر الله قد أتى بالخير .

وبعد مضي يوم والاحتفال غادر ابي راحيم وسرايا وباقي أهل فاران النبعين إلى فاران ، حيث التقت سرايا مع أختها مليكا وزوجها وابن عمها ناحر الثالث ابن ناحر الثاني ابن صرح وابنهم بتال ، حيث أخبرتهم ببشرى إنها ستنجب وان الله سينجي أخيهما لواءات ، وعمت الفرح في فاران والتي عادت مياه النبعين في التدفق .

الفصل الخامس عشر

الأميرة كوثر وسميع الله والكتابة

عام 2947 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2946 ق م م

في صباح اليوم التالي من رحيل ابي راحيم من كوثي ، اخترعت الأميرة كوثر أن يقام نصب حجري أمام كل جبل من جبال الخمسة تكتب عليه اسم الجبل وحرمته ، ولقد كلفت ألنحاتي في صقل اكبر الحجارة تصلح للكتابة ، ثم أخبرت ابنها سميع الله بان يكتب بيده أسماء الجبال على كل حجر ، فلقد علمت الأميرة كوثر ابنها سميع الله القراءة والكتابة منذ خمسة أعوام وهي الكتابة الثمودية وقيل ان من

خط بها هو صالح الرسول جد ابي راحيم الرسول الرابع ولكن قيل أيضا لا بل جد صالح الرسول الرابع وهو ثمود ومنها أطلق اسم الخط عليه وهو ثمود ابن حارث الملقب جاثر وقيل جاسر ابن راعي الملقب رعو وشقيق حلا الملقب هيلا و يقطن الملقب قحطان ، وهم أبناء قاسم المكنى فالج ابن هود الرسول المكنى المهدي بالله وهادي الناس ، وقيل أيضا إن هود الرسول هو من خط هذا الخط والذي احتفظ به حفيدة ثمود ولكن يقطن وحيلا اتخذ أحفادهم خطوط خاصة بهم ، وان هود الرسول قد طور هذا الخط من خط بني عاد نسبه لجده الرابع عاد ابن عوص المكنى أوص ابن أرام المكنى أعرب وهو أفصحى بنو ادم لسان لهذا لقب أعرب واسم أرام أي جبله .

وكان الخط يكتب من اليسار إلى اليمين ولكن عندما كتب سميع الله على الصخور أسماء كل جبل قد كتب من اليمين إلى اليسار وعندما شاهدة أمه الأميرة كوثر هذا غضبت وقالت له : الم أعلمك كيف تكتب ؟

سميع الله : بلى وهل هناك حرف ناقص أو زائدة ؟

الأميرة كوثر : كلا ، ولكن كتبت عكس ما يكتب الناس من اليمن إلى اليسار .

سميع الله : يا أماه ، أليس الله قال عنا نحن المؤمنين أهل اليمين والمشركين والكفار أهل الشمال ؟

الأميرة كوثر : بلى ،

سميع الله : ولأننا أهل اليمين أفلا تكون كتابتنا من اليمين ؟

صمتت الأميرة كوثر لبرها ثم ضحكت وقالت : فليكون هذا ما يميزنا .

وبهذا أعلنت الأميرة كوثر في أهل كوثي إنهم أهل اليمين كما سماهم الله لهذا ستكون كتابتنا من اليمين ، وابتهج أهل كوثي واستحبوا الأمر إلا الأقلية وهم اقل من ربع السكان ما زالوا على وثنيتهم ومع هذا فلقد انصاعوا للأغلبية .

الفصل السادس عشر

حجة لواءات وقصة النجاة

عام 2946 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)

ها قد مر عاما كاملا على أول حجة بعد الطوفان ، فلقد غمر الماء الأرض وزال كل شيء واخفي الله بيته الحرام عن البشر لما فعل فيها ،

وفي هذا العام لقد ولدت براق فرس سميع الله ، مهرين جميلتين ، وأمرت الأميرة كوثر الرجال بان يستعدوا لحجيج هذا العام بتنظيف طرق سير الحجيج من الأعشاب

وبقايـا فضـلات المواشــي والحجــارة الكبيـرة التــي يمكــن أن تعتـرض طـريقهم بـين الصـفا والمـروى ومـن مـروى حتـى جبـال المحرمـة منـى وعرفـة ، فـي حـين النسـاء يقومنـا بتجهيـز لإعـداد الطعـام وتقـديم المـاء والعطـور للحجـيج ، أمـا الأميـرة كـوثر فلقـد أخـذت علـى عاتقهـا وبعـض فتيـات بلـدة كـوثي لإعـداد العطـور والبخـور والأدويـة ، بالإضـافة لتبخيـر البيـت بالبخور والطيب وارض الطواف من حوله بماء الزهر .

أمـا سـميع الله فلقـد اشـرف مـع بـاقي الشـبان والرجـال لإعــداد أمــاكن لأقامــت الحجــيج وأمــاكن لبيــع الأضـــاحي والبضائع .

كانـت بلـدة كـوثي تعـج بالحيـاة وتجـاوز سـكانها إلـى ألفـين نسـمة مـن أهلهـا ومـن الوافـدين مـن التجـار والرحالـة ، لقد أصبحت بلدة كبيرة وذات قدسية للمؤمنين .

وفـي الصـباح بـدء الحجـيج يهلـون مـن كـل مكـان ومـن بينـهم قافلـة صـغيرة قادمـة مـن فـاران النبعـين ، وكـان يتقـدمهم ابـي راحـيم علـى صـهوة جـواد الأبـيض ومـن خلفـه علـى الأتـان لواءات وبعض الرجال والعبيد من أهل فاران .

اسـتقبلت الأميـرة كـوثر زوجهـا ولـواءات وتسـاءلت عـن سـرايا فقـال لهـا لـواءات : أخيـرا رأيـت زوجتـه ابـن عمـي الأميـرة كوثر واني في شوق لرؤية سميع الله وذبيح الله .

وابتسم ابـي راحيم وقـال : أمـا سـرايا فإنهـا مـع أختهـا مليكـا فـي فاران منشغلة بولدي الثاني والذي أسميته الضحاك .

الأميـرة كـوثر : مبـارك علينـا آل ابـي راحـيم ، ولكـن لمـاذا أسميته الضحاك .

ابــي راحــيم : لان ســرايا كانــت تضــحك وتعتقــد إن الأمــر مسـتحيل ، فجعلـت اسـمه هكـذا لتكـون عبـر لهـا لمقـدرة الله وفالا حسن ليكون ابني دائم الضحك والفرح .

وجـاء سـميع الله ورحـب بوالـده واحتضـنه ثـم قـال لـه لـواءات ممازحا : ألا يستحق ابن عم أبيك الترحاب ؟

ضـحك الجميـع واحتضـن لـواءات سـميع الله ، ثـم قـادتهم الأميـرة كـوثر إلـى بيتهـا أمـا بـاقي قافلـة أهـل فـاران فلقـد نصـبوا الخيـام الكبيـرة كعـادتهم ، ثـم بـدؤه يتحـدثون حتـى قالـت الأميـرة كوثر للواءات : اخبرني كيف نجاك الله من أهل سد الدماء .

تنهـد لـواءات ثـم حمـد الله وشـكره وقـال ، بعـد عشـرة أعــوام أقمتهــا فــي ســد الــدماء وأنــا ادعــوهم إلــى الله ولقــد صـاهرت اشـرف رجـالهم وهـو عبـاد ، فلقـد امـن بـالله ولكنـه رجـل عجـوز وقلـق ولـيس لـه سـوى ابنتـه عمـورة وهـي شـابة صـغيرة خـاف عليهـا أن تظـل وتتبـع أمهـا التـي ماتـت منـذ أمـد ، فتقـدمت لـه بزواجهـا فوافـق علـى الفـور بـرغم إنهـا كانـت غيـر راغبـة بـذلك ، وبعـد خمـس أعـوام تـوفى عبـاد والـذي أوصـاني أن ادفنـه فـوق ربـوة بعيـدا عـن الـوادي والبلـدة ، وكـان لـه مـا أراد ، أمــا زوجتــي عمــورة والتــي كنــت قــد رزقنــي الله منهــا بـثلاث بنـات رايـا الكبـرى وسـرايا علـى اسـم شـقيقتي الكبـرى والصـغرى أسـميتها علـى اسـم شـقيقتي الصـغرى مليكـا ، ولكـن مـا أن تـوفى أبيهـا حتـى صـارت تتمنـع علـي كزوجـة آو أم ، وطالمــا كانــت تخــرج مــن بيتنــا دون إذن منــي لأعــود واجــد بنــاتي جائعــات وحــدهن فــي البيــت ، وطالمــا قرعتهــا علــى

فعالها ولكن دون جدوى حتى مضت خمسة أعوام أخرى لم يؤمن احد بالله بل ازدادوا في ظلالهم .

وفي إحدى الأيام وفي منتصف الليل سمعت طرق على باب بيت ؟ في الحقيقة كان الأمر غريب لان لا احد من العرب يزور هذه القرية الظالمة بل أنا أيضا لم أتخيل يوما أن أعيش في هذه القرية لولا أمر الله لتبليغ رسالته لهم

استيقظت واستيقظت عمورة ونهضت بحذر حتى لا تستيقظ البنات وفتحت الباب وإذ بهم ثلاث رجال غرباء و وجوهم جميلة وثيابهم باهرة ، فشعرت بالبلاء ، فماذا لو شاهدهم احد من أهل هذه القرية الغاوية ، فأدخلتهم على الفور ثم نظرت خارجا فلم أرى احد فحمدت الله على ذلك ، ثم أجلستهم وقلت لهم انتظروني قليلا ، ودخلت في مخدعي لأطلب من زوجتي أن تعد لهم واجب الضيافة من طعام وشراب ولكن لم أجدها فبحثت في إرجاء البيت فلم أجدها بل وجدت الباب الخلفي للبيت مفتوح قليلا ؟

رجعت إلى مطبخ لإعداد شي من الطعام والشراب وما أن أكملت ودخلت بها على ضيوفي حتى سمعت طرق قوي على باب منزلي استيقظت منه بناتي مرتعبات !

فنظرت إلى ضيوفي وسألتهم : هل لكم صاحب رابع ؟ ، فقالوا : لا .

ثم سمعت أصوات عرفتها وهي أصوات بعض فساق القرية ، فرفضت فتح الباب لهم وإذ بعضهم دخل من الباب الخلفي وتتقدمهم زوجتي ، فعرفت إنها خانتني وأبلغت أهلها بالضيوف .

ولقد أراد التحرش بضيوفي وهم كثر وان رجل وليس لدي من الذرية سوى ثلاث بنات أكبرهن في التاسعة من العمر ، وقلت لهم : يا رجال هذه بناتي أزوجكم بهن إذا رغبتم ولا تخزوني في ضيوفي ، ولكنهم رفضوا وقالوا ليس لهم حاجة في مصاهرتي بل في هؤلاء الشباب الملاح ، فلم أجد ركن شديد اركن له او قوة ، فهم أربعة في وسط بيت ولا اعلم كم عدد من خلف الباب ، فقال لي احد الضيوف الثلاثة : لا تخف نحن رسل ربك وملائكته أتينا لنبشرك بإتمام رسالاتك وأقامت الحجة عليهم وننجيك منهم وتغادرهم .

ولقد غمرتني السعادة ولكن كنت لا اعرف كيف ، وإذ بأحد الضيوف يقف ويلطم بيده بقوة وسرعة وجوه الرجال الأربعة فسقطوه مغشي عليهم فقال لي : هيا خذ ما تستطيع حملة واتبعني .

وبالفعل جهزت نفسي وأهلي وخرجنا من الباب الخلفي في اثر الملاك ، ولقد مشينا خلفه وقال لنا لا احد ينظر خلفه بعد أن وصلنا إلى اعلي الوادي حيث بقايا السد المنهار قديما ، وكانت الملائكة تفرقت فاحد الملائكة ذهب في مصب الوادي ووقف هناك بعكس اتجاهنا تمام ، وملاك حلق من وسط القرية إلى السماء حتى وصل لارتفاع قمم الجبال التي تحيط بجاني الوادي ، إما الملاك الذي معنا توقف والتفت ونظر في وأهلي وقال لي أكمل طريقك واهلك ، ولكن زوجتي عصت أمره فالتفتت وقالت : بلادي العزيزة وأهلي ، لا يمكن أن اتركهم .

وإذ بالملاك خرجت من ظهره ستة عشر جناحا وصار حجمهم يكبر وبإحدى ريشات أجنحته صفع بها زوجتي فقذفها في الهواء حتى غاب صوت صراخها لتسقط في وسط القرية .
وجاء الصباح ولم اعد أرى القرية التي خلف ألتله ولكن راءيت الملائكة قد سد الأول والثاني أول الوادي وآخرة ، أما الملاك الثالث فلقد رفرف بأجنحته فأسقطت أطرافها قمم وصخور الجبال حول الوادي لتسقط على القرية ولقد سمعت أصوات صراخهم وأمرت بناتي بان يغلقنا آذانهن لكي لا يسمعنهم ، ومن يريد أن يفر من اعلي الوادي أو أسفله يصفعه الملكين فيقذفانه إلى وسط القرية ، ولم تمضي ساعة من الصباح حتى أصبح عاليها سافلها تحت ركام واختفى الوادي حيث امتلئ من حجارة الجبال المحيطة حتى أصبحت ارض مرتفعة ومنبسطة لا قمة فيها ، ثم غادرت الملائكة وبكت بناتي على أمهم ولكن أكملنا الطريق إلى فاران النبعين وهناك اخبرني ابي راحيم عن زواجه منك وإنجابك أول مولد له سميع الله وقصة ماء البر العهد والوعد وبناء بيت الله والحج والكبش العظيم ثم شاهدت إنجاب أختي سرايا ابنه الثاني لابي راحيم ألا وهو الضحاك ، كما شاهدت ولد ابن أختي مليكا من ابن عمي ناحر زوجها ، واسموا أبنائهم بتال و عوص و أزر و كاسي و فلذة ودافع و كميل الله و حذرا ، هذه هي القصة .
الأميرة كوثر : وهل مات حتى أطفال قرية سد الدماء أيضا ؟
لواءات : إنهم قوم فاسقين ، من فجورهم اكتفت النساء بالنساء والذكور بالذكور ، فمن أين يكون لهم ولد .
الأميرة كوثر : لماذا لم تأتي ببناتك معك ، فلقد شوقتني للقائهن ؟
لواءات : لقد تركتهن يساعدنا عمتهن في مولدوها الضحاك
وبهذا القصة المرعبة انتهى بلاء لواءات وتم له الحج لأول مره ، أما بنسبه للأميرة كوثر وابنها وزوجها فكانت المرة الثانية ، إما سميع الله فلقد تعهد للواءات بان يهب له إحدى المهرتين .

الفصل السابع عشر

زواج سميع الله ومجيء لواءات

عام 2941 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2940 ق م م

ومـرت خمسـة أعـوام وزوجـت الأميـرة كـوثر ابنهـا سـميع الله بسـدفة بنـت عمـارة الملقبـة بليلـة ، وكـان سـميع الله بـالغ مـن العمـر سـتة عشـرة عامـا فـي حـين سـدفة تبلـغ أربعـة عشـرة عامـا ، ولقـد أقامـت الأميـرة كـوثر احتفـالا كبيـرا فـي كـوثي دعـي فيهـا الكـل ، وأنيـر بيـت الله الحـرام وكـل البيـوت والدروب بالمشاعل والقناديل الزيت والشموع .

وعقـد القـران عنـد بيـت الله الحـرام وزف سـميع الله وزوجتـه إلـى داره الجديـدة بقـرب مـن بئـر المـاء البـر ، ولأول مـره شـعرت الأميـرة كـوثر بالوحـدة فـي دارهـا ، فلقـد كـان سـميع الله ملازمهـا طيلـة خمسـة عشـرة عامـا فـي كـوثي وحتـى عنـدما أصـبحت سـدفة فـي عامهـا العاشـر فكانـت تقيم ليـالي مـع الأميرة في بيتها وكأنها ابنتها ولكن ألان أصبحت وحيدة .

وبعـد بضـع أشـهر جـاء لـواءات مـن فـاران إلـى كـوثي وهـو علـى صـهوة الفـرس وخلفـه نـاقتين بهـودجين وبضـع حمير محملة بالديباج والعبيد يسقون المواشي .

رحـب سـميع الله بـه ونـاداه بعمـي وكـذلك اسـتغربت الأميـرة كـوثر مـن مجـي لـواءات مـع هـذا اسـتقبل بحفـاوة كبيـرة ثـم نـزل ونصـب عبيـدة الخيـام وكانـت بناتـه الثلاثـة معـه وكـانوا متجهمـين ، وبعـد الضـيافة ومـرور ثلاثـة أيـام سـئلت الأميـرة كـوثر لـواءات وقالـت : أصـدقني القـول ، لمـا الـتجهم يبـدوا عليك وعلى بناتك ؟

لـواءات : تعلمـين طباعـة الباديـة فـي إطـلاق ألقـاب والنعـوت والسب والشـتم ، وأهـل فـاران لا تشـذ عـن بـاقي البـوادي ، فلقـد سـمعت وبنـاتي منهم مـا جعلنـي اهجـرهم علـى غيـر رجعـة ، بـرغم تمسـك أخـي وابـن عمـي ابـي راحـيم بالبقـاء إلـى أنـي شكرته على هذا ولكن اعتذرت وذهبت .

سميع الله : وما هذه النعوت يا عمي ؟

لـواءات : نعـم إن زوجتـي هلكـت مـع قومهـا ، ولكـن مـا ذنـب بنـاتي كـون أمهـم قـد أهلكهـا الله مـن فعلهـا مـع قومهـا ؟ وهـذا الأمر أزعجني ولكن كان وقعه على بناتي اشد من ذلك .

تأسفت الأميرة وابنها على ذلك ولكنهم رحبوا بهم ولقد عرضت الأميرة كوثر على لواءات أن يتجوز ويعيش هنا .
ضحك لواءات وقال : يكفيني العيش هنا بينكم بقرب من بيت الله الحرام .
ولكن الأميرة كوثر أصرت وأعادت له العرض بان يتزوج فقال : أتزوج واترك بناتي ؟ بل من الأمور التي جعلتني اهجر فاران هو عدم تقدم احد بالزواج من بناتي بسبب أمهم
فقالت الأميرة كوثر : أنت تزوج وبناتك يقمنا معي فانا أصبحت وحيدة في البيت بعد أن تزوج ابني وعاش في بيته الجديد مع زوجته ، ولكن بناتك سيكوننا كأنهن بناتي حتى يأتي نصيبهن ، ولكن أنت تزوج ولا تحمل هم احد .
صمت لواءات ولكن الأميرة كوثر استقبلت البنات الثلاثة رايا و سرايا و مليكا واحتضنتهن وأمرت العبيد بان يحضروا جميع متاعهن إلى بيتها ليقمنا معها .



وبهذا عادت السعادة في قلب الأميرة كوثر والابتسامة في وجهه وبعد بضع أشهر تزوج لواءات من حيرة إحدى نساء كوثي من العماليق .

سميع الله وزوجته سدفة

الفصل الثامن عشر

الطلاق ثم الزواج مرتين لسميع الله

عام 2940 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2938 ق م م

بعد عامين أصبح للواءات ابنين ذكور من زوجته حيرة وهما أواب و عمرون الملقب عمون ، ولكن لم تنجب سدفة لسميع الله أي مولود فكانت غاضبة وتلقي باللوم على سميع الله وأشاعت خبر بأنه عاقر حتى تدفع عن نفسها قول قريناتها من بنات ونساء كوثي ، وأصبحت الحياة معها لا تطاق ولكن كانت الأميرة كوثر تصبر ابنه على زوجته كما

صبر أبوه على سرايا حتى أنجبت ، ومع هذا صار سميع الله قليل ما يقيم في كوثي بل اشتغل في الصيد في موسم الصيد وإذا انتهى الموسم اشتغل بالتجارة .

وفي إحدى الأيام وبعد غياب سنين بسبب أسفارة لدعوة الناس للإيمان بالله جاء ابي راحيم على عجل لكوثي ليبارك لوده بالزواج وابن عمه بعد إن وصلت الأخبار إلى كل مكان .

وعندما دخل كوثي ورحب به لواءات وبناته وزوجته ، وزوجته الأميرة كوثر ، تساءل عن سميع الله ليبارك له ولكن قالت له الأميرة كوثر انه في رحلت صيد منذ يومين ، ومع هذا أراد ان يزور سدفة زوجته ابنه ولكنها استقبلته بأسوة استقبال وحتى عندما سئل عن حالهم وأحوالهم أظهرت له بؤس الحال والبلاء فقال لها وهو متضايق : عندما يعود ابني سميع الله من السفر سالما غانما قولي له : أبيك يسلم عليك وأراد أن يبارك لك زواجك ولكن لم يجدك ، لذا يتمنى له السعادة وان يقوم بتغيير عتبة الدار .

ثم غادر ابي راحيم لأنه لم يأتي إلى فاران بل غاب عنهم عاما كاملا وجاء لكوثي أولا لزيارة وحان وقت العودة

بعد أيام جاء سميع الله بصيد عظيم مع بعض فرسان والصيادون وهناك استقبلهم أهل كوثي على رئسهم الأميرة كوثر وابن عم أبيه لواءات وأهل بيته واخبروه انه قبل بضع أيام جاء والده لزيارته ولكن لم يجده ، فتأسف على ذلك ، ولكن استغرب من عدم استقبال زوجته له حتى ظن إنها مريضة ، لذا هرع إلى دارة ولكن وجدها بصحة جيدة واستقبلته بجفاء ، فقال له : هل هناك من أزعجك في غيابي لتكوني هكذا ؟

فقالت : لا .

فقال : وهل زارك احد وأزعجك ؟

قالت : لا ، ولكن كانت أمك بين الحين والأخر تأتي لزيارتي وقبل أيام جاء والدك وزارني وطلب مني إن أبلغك انه يتمنى لك السعادة وان تقوم بتغيير عتبك دارك ، ربما لم تعجبه .

ضحك سميع الله وعرف إن والده ينصحه بان يطلق زوجته سدفة ، فكانت تلك القشة التي قسمت ظهر البعير ، لهذا طلقها .

لم تكن سدفة غاضبة أو حزين من الطلاق لأنها تظن أن زوجها عاقر ، ومع هذا تأسف أبوه الشيخ الكبير عمارة وزوجته .

ولقد كانت من عادات العرب في ذلك الزمن وحتى بعد الإسلام ببضع قرون ، إذا طلق الرجل زوجته وهو في سعة من العيش وليس له منها ولد يخيرها بين الذهاب لبيت أهلها أو البقاء في منزل طليقها وهو يتخذ منزل آخر حتى آخر عمرها إلا إذا تقدم احد بزواجها عندها عليها ترك البيت والعيش في بيت زوجها ولا تعود إلا إذا كان له ولد من طليقها .

أما إذا كان الزوج ليس في سعة من العيش يخصص لها غرفة في بيته على أن يكون مدخل الغرفة ومخرجها

خـاص بهـا ، و إذا لـم يكـن الطليـق فـي سعة مـن العـيش وبيتـه صغير يعطيها مال بقدر ما يجعلها تستأجر بيت .

وبعد بضـع أشـهر طلبـت الأميـرة كـوثر مـن لـواءات بـان يقنـع ابنهـا سميع الله بـان يتـزوج مـن رايـا ، ولكـن لـم يكـن سـميع الله محتـاج للإقنـاع فلقـد وافـق وتـزوج منهـا وأقـيم عرسـا كبيـرا في كوثي وصل خبره إلى فاران .

وبعـد بضــع أشــهر زار ابــي راحــيم كــوثي وأراد أن يبـارك زواج ابنــه ولكــن كــان سـميع الله فــي رحلــة إلــى بــلاد ابـيلا (بــلاد الشــام) نسـبة لعبـيلا وهـو عبيــل شـقيق عــاد و عـيلام وهـم أبنـاء عـوص وهـو أوص بـن آرام الملقـب عـراب لأنه أفصح بنو ادم لسان وجد العرب .

وفــي كــوثي زار زوجتــه الأميــرة كــوثر و ابــن عمــه لـواءات وكذلك رايـا زوجـت ابنـه والتـي استقبلته بخيـر اسـتقبال والترحـاب ، فأوصـاها بـأن تقـول لزوجهـا إذا عـاد انـأ والـدك يبـارك لـك زواجـك ويقـول لـك ابقـي علـى عتبـت بيتـك ثـم غـادر بعدها .

وبعــد شــهر عــاد ســميع الله محمــلا ببضــاعة وهدايــة لأهل بيتـه كلهـم وأخبرتـه أمـه بـان والـده قد زارهـم ويبـارك لـك زواجـك ، وهنـا ذهـب إلــى داره وسـئل زوجتـه وأخبرتـه كـل شــيء حتــى قالــت لــه انــه يوصـيك بـان تبقـي عتبـت بيتـك ، وتساءلت رايا عن قصده بعتبة بيتك فقال لها : يقصدك أنت

ولقـد صـرت رايـا مـن الوصـية رغـم إنهـا حزينـة علـى عدم الحمل .

وبعـد عـام مـن زواجـه برايـا لـم تحمـل لـه بولـد فقالـت الأميـرة كـوثر أتسـمح بـان يتـزوج ابنـي مـن ابنتـك سـرايا لعلهـا تنجب له .

انـزعج لـواءات فلقـد ظـن أن الأميـرة كـوثر تطلـب منـه تـزويج ابنتــه سـرايا علــى حســاب أختهـا رايـا فيطلقهـا ولكــن الأميـرة كـوثر أوضـحت لـه أن يبقـي علـى رايـا فـي بيتهـا وتكـون زوجـة أيضـا ، وهنـا صـر لـواءات فـاجتمع مـع ابنتيـه رايـا وسـرايا ليقـول لـه عـن أمـر الـزواج ، فقالـت رايـا : يـا أبـي إن لا أمــانع إذا قبلــت أختــي ، فـنحن فــي فــاران كنــا منبــوذتين مــن النـاس بسـبب أمـي ، وهنـا لـم يقـل لنـا احـد عـن أمنـا شـيء فهـم يهـابون الأميـرة كـوثر وابنهـا سـميع الله ولكـن لـم يطـرق احـد بابنا أو حتى تحدث عنا .

ثـم أردفـت سـرايا قائلــة : نعـم يــا أبــي ، انــأ أوافــق إذا وافقـت أختــي بـل لــو أراد إن يتــزوج مـن اختتـا الصـغيرة مليكـا فسـوفا أوافــق أيضــا ، فمــن لنــا مــن النــاس غيـرك والأميــرة كــوثر وسميع الله ؟

صـر لـواءات لقـول ابنتيـه وقـال : والله إن سـميع الله طيـب ابـن ســيد وســيدة طيبــين لــم أرى مثليهمــا فــي هــذه الــدنيا ، لــذا سأعرض انأ والأميرة كوثر على سميع الله الأمر .

ثــم اجتمعــت الأميــرة كــوثر و لــواءات مــع ســميع الله واخبـراه كـل شـيء حتـى موافقـة زوجتـه وأختهـا علـى ذلـك ، فلـم يجـد إلا الموافقـة وجعـل لكـل واحـدة بيتـا خـاص بهـا ومجـاور للآخـر ثـم قـال : والله يـا أمـي لـم اعتـرض علـى أمـر طلبتـي منـي ولكـن لـو طلبتـي منـي طـلاق رايـا وزواج بـأخرى لرفضـت لان

أبـي أوصــاني أن ابقـي عليهـا وبـارك لنـا زواجنــا ، ولـم أكـن لأعصى أمر أبي فهو أبي ورسول الله .
ولقـد كـان الجمـع الرجـل بـالزواج بـين الأختـين جـائزا فـي ذاك الـزمن ، ولقـد كـان عمـر سـميع الله فـي التاسـعة عشـرة ورايا في الثامنة عشر وسرايا في السابعة عشر .

الفصل التاسع عشر

الزواج من ثالثة والبشرى من الأولى والثانية

عام 2938 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2932 ق م م

مـر عامـا كـاملا علـى زواج سـميع الله بسـرايا وعــامين برايـا ومـا مـن ولـد وتشـمت سدفة منـه رغـم إنهـا لـم تنجـب مـن ابــن عمهــا الــذي تزوجهــا منــذ عـــام ، وهنــا اجتمعــت رايــا وسـرايا بسـميع الله فـي بيـت أمـه الأميـرة كـوثر وعرضـنا عليـه بـالزواج مـن مليكـا وقـالا : إذا قـدر الله علينـا أن لا ننجـب لـك ولد فربما اختنا مليكا ترزق منها بولد .
لـم يعلـق سـميع الله علـى الأمـر وقـال : إن الله لـم يـرزق لأبـي ولـد مـن زوجتـه الأولـى سـرايا سـنين طويلـة ولكنـه رزقـه بـي مـن أمـي فـي أول عـام لزواجيهمـا ثـم بعـد عشـرة أعـوام رزق الله أبـي بولـد ثـاني مـن زوجتـه الأولـى سـرايا ، فـالله هـو من يقر في الأرحام متى يهب ومتى يمسك .
ثـم قـال سـميع الله : والأمـر لكـم إذا وافـق الكـل فانـا معكـم علـى أن لا أطلـق احـد وخاصـة مـن باركهـا لـي ابـي ، وهـذا لا يـنقص من قدرك شيء .
وكــان يقصــد رايــا التــي باركهــا ابــي راحــيم ، والتــي لا يـنقص مـن قـدرها هـي سـرايا ، ثـم اجتمـع الكـل ووافـق الكـل علـى أن يتـزوج سـميع الله بمليكـا ، وافـق وتـم لهـم الأمـر وجعـل لهـا بيـت بجـوار أختيهـا ولـم يمضـي إلا شـهرا حتـى أنجبـت رايـا بنــت وكانــت رايــا نحيلــة جــدا فلــم ينتبــه احــد بحملهــا حتــى اضـطرت الأميـرة كـوثر إلـى البحـث عـن مرضـعة لهـا لان رايـا مـا كـان لـه مـا ترضـع بيـه ابنتهـا والتـي أسـمتها جـدتها باسـمة لأنــه أدخلــت البســمة والســرور علــى ســميع الله وال بيتــه جميعــا ولقـد أزعـج هـذا سـدفة وانقلبـت الأقاويـل التـي حاكتهـا علـى سميع الله بأنه عقيم ضدها .
أمـا ابـي راحـيم الرسـول بعـد خمسـة أشـهر سـمع الخبـر عنـدما عـاد إلـى فـاران مـن أسـفاره لـدعوة النـاس إلـى الله فـاثر أن يـزور ابنـه ويبـارك لـه ، وفـي هـذه الأثنـاء شـعرت مليكـا إن زواجهـا لـم يكـن لهـا قيمـة وربمـا تسـرعوا فـي تزويجهـا لـذا

كانت تحتجب عن الأنظار ، فربما يطلقها سميع الله بعد أن رزق بمولود .

وهنا أخبرت الأميرة كوثر ابنه سميع الله بالآمر وعليه أن يطمئن مليكا ، وهذا ما فعله سميع الله عندما اخبرها إنها ستبقى زوجته هي و سرايا وما كان ليطلقها بسبب أمر قدرة الله .
ولقد أصرت مليكا جدا .

وفي أثناء زيارة ابي راحيم ليبارك ابنه وزوجاته وحفيدته وال بيته تفاجئ بخبر إنجاب سرايا زوجت ابنه سميع الله بولد استأذن منهم أن يسميه الظاهر والذي عرف عند أل كوثي بلقب نابت .

ولقد بارك ابي راحيم حفيديه وابنه وزوجاته وزوجته الأميرة كوثر كما بارك أبناء ابن عمه لواءات وبقي في كوثي شهرا كاملا وكان سميع الله سعيدا جدا وكذلك الأميرة كوثر .

وبعد عام سرت مليكا بإنجابها المولود الأول لها والثالث لسميع الله ، ولقد اسماه سميع الله العاشق لله ولقب تيما ، وهكذا تزايد أبناء سميع الله حيث أنجبت رايا في العام التالي ابن ثاني لها وهو المُنزل والملقب حدار وفي نفس العام أنجبت أختها سرايا ابنها الثاني الواعد والملقب مسا ، ثم في العام الذي يليه أنجبت مليكا ابن ثاني لها والسادس لسميع الله واسماه الدائم والملقب دومه ، وفي العام الذي يليه أنجبت رايا آخر أبنائها الباسم والملقب مبسام أما أختها سرايا فهي الأخرى أنجبت آخر أبنائها و هو المنصت والملقب مسماع أما في العام الذي يليه أنجبت مليكا تؤمان وهما أديب الله والملقب ادبئيل و القدير والملقب قيدار ، وكان عدد أولاد سميع الله تسعة أولاد وابنه ، وهو يبلغ من العمر خمسة وعشرون عاما أما رايا أربعة وعشرون عاما وسرايا اصغر منها بعام أي ثلاثة وعشرون عاما وأخيرا الأصغر سننا مليكا والبالغة اثنين وعشرون عاما ، أما الأميرة كوثر فكانت تغمرها السعادة فلقد كانت تحمد الله لأنها شاهدت ذرية ابنها الوحيد سميع الله وهي بالغة من العمر أربعة وأربعون عاما ولقد غاب ابي راحيم هذا العام على زيارتهم برغم انه كان يزورهم كل عام في موسم الحج ولكن لم يزرهم هذا العام فساور القلق الجميع لذا عزم لواءات أن يزور ابنه عمه في فاران ووصى الأميرة كوثر وابنها سميع الله على أل بيته .



سميـــع الله و رايــــا ســــرايا مليـــكا

الفصل العشرون

في ارض فاران النبعين

عام 2932 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2931 ق م م

عنـدما وصـل لـواءات إلـى فـاران النبعـين وجـد الحـزن مخـيم علـى الجميـع حيـث اسـتقبلته أختـه مليكـا وقالـت لـه : لقـد توفت سرايا منذ شهر .

بكـى لـواءات علـى أختـه ثـم عـزاء ابـن عمـه وزوج أختـه ابـي راحـيم وابـن أختـه الضـحاك فبـرغم انـه زوجتـه حامـل منـذ بضـع أشـهر وهـي رفقـة بنـت بتـال الله ابـن نـاحر الثالـث ابـن عمـه نـاحر الثـاني ابـن صـرح ، ألا أن الحـزن اخـذ بلـب قلبـه حيـث كـان الضـحاك البـالغ خمسـة عشـرة عامـا متعلـق بأمـه كثيـرا ولقـد نصـحها هـو وأبيـه ابـي راحـيم بعـدم مرافقـة ابـي راحيم في رحلاته في الأمصار لنشر دعوة الله .

ثـم جلـس لـواءات مـع ابـي راحـيم وابنـه الثـاني الضـحاك ورفقـة وأختـه مليكـا وتسـاءل عـن مكـان دفنهـا ومـاذا حـدث فقـال لـه ابـي راحـيم : عنـدما أصـرت سـرايا أن ترافقنـي فـي رحلتـي سـافرنا معـا ومررنـا بالممالـك والقـرى فـي أمصـار الـيمن أصـابها إعيـاء شـديد فاسـترحنا بقـرب مـن طـور العمالقـة حيـث اسـتقبلنا الملـك سـهيل المكنـى أبـي مالـك ابـن عـم زوجتـي كـوثر ، هنـاك اشـتدد الإعيـاء بسـرايا وأصـبتها حمـى شـديدة وبـرغم مـن كـل الأطبـاء ولكـنهم عجـزوا علـى علاجهـا ، ثـم فـي اليـوم التـالي توفـت سـرايا فطلبـت مـن ابـي مالـك ان ادفنهـا فـي كهـف الكـافي وهـو تجويـف فـي الجبـل عـريض بنحـو سـبعون ذراع وعمـق عشـرون ذراع وارتفـاع خمسـة اذرع كـان يـدفن فيـه الصـالحون ، ولقـد قلـت لـه سـوفا ادفـع لـك مقـدار قبـر لأدفـن سـرايا ولكـن الملـك أبـي مالـك رفـض واقسـم انـه لـن يقبـل منـه أي شـيء ، ثـم سـألني علـى ابنـة عمـه الأميـرة كـوثر زوجتـي كيـف حالهـا ، وأخبرتـه بكـل شـي ثـم بعـد أسـبوع رجعـت إلـى فاران وها أنا هنا كما ترى .

زاد الحـزن بلـواءات عنـد سـماع القصـة وبقـى فـي فـاران أسـبوعا كـاملا واخبـره عـن كـل شـيء فـي كـوثي وألـح عليه أن يأتي ليزورهم هناك ويزور بيت الله الحرام .

الفصل الحادي والعشرون

إحياء الموتى

عام 2931 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)

جاء ابي راحيم مع لواءات إلى كوثي وهناك تلقوا خبر وفات سرايا فحزن عليها أل بيته وطلبت الأميرة كوثر منه أن يقيم في كوثي وان يأتي بابنه الضحاك وزوجته ليقيم هو الآخر بينهم إلى انه اخبرها إن ابنه الضحاك أحب فاران من قبل وألان ازداد تعلقه بها لأنها فيها ولد وفيها ريح أمه وفيها زوجته وأهل زوجتها بتال الله وأخيها الآبين .

وبهذا أقام ابي راحيم في كوثي وبعد شهر كان يدعو الله عند بيته الحرام في الصباح الباكر حيث كان يتساءل كيف تعود سرايا ومن ماتوا إلى الحياء ، ثم حاور الله قائلا : يا الهي اعلم انك تحيي الموتى وتبعث الناس من القبور ولكن هل تريني كيف يتم ذلك ؟

فقال الله له وهو يعلم ما يجول في قلبه : الم تؤمن بإحيائي للموتى ؟

فقال : بلى يا ربي مؤمن ولكن ليطمئن قلبي ، فليس بي شك ولكن القلب اضطرب بموت سرايا وأنا بهذه العمر .

فقال له الله أن يأخذ أربعة من الطيور بألوان تختلف عن بعضها وسمي كل طير باسم ، ثم اذبح هذه الطيور وقطعها خمس قطع ، رئس و جناحين وذيل وباقي الجسد ، و ضع كل قطع الأربعة من الطير معا في جبل وهكذا مع باقي الطيور ، ثم نادي هذه الطيور باسمها تأتي إليك .

ثم نهض ابي راحيم ونادي على زوجته الأميرة كوثر وابنه سميع الله واخبرهم بقصة الطيور وطلب من زوجته أن تأتي له بالطيور المختلفة وبعدها أطلق عليها أسماء بحسب لونها الأبيض الأحمر الأصفر والأسود ، وبعدها ذبحها وأرسل ابنه سميع الله أن يذهب بقطع الطائر الأبيض لوضعها على قمة جبل الأخشب الكبير (قعيقعان) وقطع الطائر الأسود على جبل المروى ، في حين ستضع الأميرة كوثر قطع الطائر الأحمر على جبل الصفا ، أما ابي راحيم

فيضع قطع الطائر الأصفر على جبل أبي قبس ، وانطلق الثلاثة على صهوة خيولهم إلى الجبال ومع الضحى اجتمع الثلاثة عند بيت الله الحرام ووقف ابي راحيم على الحجر أمام البيت الحرام حيث قام لبناء البيت قبل سنين طويلة ، ثم نادي على الطيور الأربعة باسمهن حتى شاهد الثلاثة قدوم الطيور الأربعة وهي تحلق حتى حطت بين يدي ابي راحيم .

أنذهل الثلاثة وسبحوا الله وحمدوه وخروا له سجدا ، وزاح الحزن عن قلب ابي راحيم وابتسم واحتضن زوجته وابنه ، وبعد شهر آخر عاد ابي راحيم إلى فاران .

الفصل الثاني والعشرون

أول حرب في كوثي وحكمة الأميرة كوثر

عام 2931 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2928 ق م م

في نفس العام جاء وفد من قبل جبل الاخشب الكبير من قبيلة جرهم على رئسها زعيمهم مضيء ابن عمرو ابن حارث الجرهمي ، وجرهم الجد الأكبر هو شقيق جاسم الملقب عملاق وهو جد العماليق جد الأكبر للأميرة كوثر ، و شقيق داسم الملقب طسم و شقيق جديس . استقبل سميع الله والأميرة كوثر زعيم جرهم مضيء الجرهمي وضيفوه وسئلوا عن سبب مجيئه فاخبرهم انه أتى مع قبيلته للإقامة في كوثي بعد أن أنهكتهم الحرب مع أبناء عمومتهم جديس وطسم .
نادت الأميرة كوثر وسميع الله في أهل كوثي وعرضت عليهم مطلب مضيء الجرهمي ولكن انقسم أهل كوثي إلى نصفين نصف وافق على سكن بنو جرهم معهم بشرط أن يؤمنوا بالله ونصف عارض .
فقال مضيء الجرهمي أن منا من يؤمن بالله وأنا منهم وما كان خلافنا بأبناء عمومتنا جديس إلا هذا الأمر ، ولكن سأعرض على باقي قومي على هذا الشرط إذا سمحتم لي .
فقالت الأمير كوثر وابنها سميع الله ، بما أن القوم انتصف بين مؤيد ومعارض فان الكفة ترجح مع من نكون معه لذا وبعد أن شاورت ابني فإننا نوافق على إقامتكم بشرط الإيمان بالله وحده .
ذهب مضيء الجرهمي والفرح قد غمره إلى قبيلته ليخبرهم بالشرط ، في حين النصف الذي رفض من أهل كوثي وهم نصف مؤمن ونصفهم وثني قد رفضوا واعلون أنهم سيقاتلون إذا استدعى الأمر وكان هذا أول انشقاق معلن من العمالقة أهل كوثي ضد الأميرة ، لهذا استعدت الأميرة كوثر وابنها ونفر من مؤيديها من أهل كوثي للقتال ولقد كان نصف الموافق للأميرة كوثر أعلنوا أنهم معها فيما يخص

بجــرهم ولكــن لــن يحملــوا الســلاح ضــد قــومهم علــى أنهــم سيكونون محايدون إلا القلة منهم .

ذهــب ســميع الله إلــى مضــيء الجرهمــي خلــف جبــل الاخشــب الكبيــر حيــث تقــيم قبيلتــه التــي وافقــت علــى شــرط الأميــرة كــوثر ولكــن ســميع الله اخبــرهم أن النصــف المعــارض يسـقفون ضــدهم بالسـلاح وأعلنــوا التمــرد عليــه وعلــى الأميــرة كــوثر ، أمــا النصــف الموافـق علــى إقـامتكم فـي كــوثي فلقد أعلـن اغلــبهم أنهــم لــن يحملــوا الســلاح ضــد أهلهــم ولكــن ســيكونون محايــدون ألا نفــر مــنهم ، لــذا فــان الحــرب واقعــة لا محالــة وأمرهم بان يجهزوا أنفسهم تحسبا .

وبالفعــل مــا أن هــل قوافــل جــرهم حتــى تحــرك المتمــردين للقتــال ودارت الحــرب عنــد جــرف الشــرقي مــن جبـل الاخشــب الكبيــر، و انتهــى بهزيمــة المتمــردين وخيــروا بـين أن يكـون عبيـدا آو الرحيـل وأعلـن الجميـع الرحيـل شـرقا ، أما جرهم فلقد نزلوا ديارهم وحلوا مكانهم .

ولقـد لقـب مضــيء بـن عمـرو الجرهمـي سـميع الله بلقـب سـميدع أي الكـريم والشـجاع ، ولقبـت الأميـرة كـوثر هـوثر أي الثابتة لأنها ثبتت على قرارها رغم تمرد نصف قومها .

هــذا وقــد جلــب الــزعيم مضــيء بــن عمــرو الجرهمــي ابنتــه رحيلــه الملقبــة رعيلــه وطلــب مــن ســميع الله أن يتخــذها زوجه له ويصبح بينهم صهرا ونسبا .

كــان الأمــر مفــاجئ لســميع الله وأهــل بيتــه ولكــن أمــه عالجـت الأمـر وقالـت : لقـد توفيـت منـذ شـهرين زوجـت أبيـه ، فاجـل الأمـر حتـى يرتـاح الجميـع مـن اثـر الحـرب ، أمـا ابنتـك فلتقم عندي كابنتي تساعدني واعرفها بكوثي وأهلها .

صـر مضـيء الجرهمـي للأمـر وقـال : هـذا شـرف عظـيم منـك يا أميرتنا ، فهي من ألان كابنتك .

وبعــد بضــع شــهور تــزوج ســميع الله مــن رحيلــه بنــت مضــيء الجرهمــي بعــد إلحــاح ونصــح الأميــرة كــوثر ولــواءات الرســول ، ولــم يمضــي عامــا حتــى أنجبــت لــه تــؤم وهمــا القــديم الملقـب قدمـه والبهـي والملقـب نـافيش ، ثـم فـي العـام الـذي يليـه أنجبــت رحيلــه آخــر أبنــاء ســميع الله ولقــد أرادت الأميــرة كــوثر أن تطلـق عليـه اسم طـور ويعنـي جبلـة علـى اسم أبيهـا وكـان لـه مـا تريـد فلـم يكـن لسـميع الله إن يـرد طلـب أو رجـاء لامـه فهـو بـارا بوالدتـه لهـذا لقـب ذريتـه بـالأميين لاعتـزاز سـميع الله بأمـه ولأنها ربته وحدها منذ ميلاده حتى أصبح رجلا .

ولقـد مـر عـامين علـى وجـود جـرهم بكـوثي وانصـهارهم مـع بـاقي السكان حتـى جـاءهم خبـر يشـفي غليلهم وهـو نشـوب صـراع عظـيم بـين طسـم وجـديس الحلفـاء الأمـس أعـداء اليـوم ، فلقــد اســتدعت طســم فــرع الأقــوى مــن قبيلتهــا وهــم شــومر الملقبــة شــمر والتــي انقســمت إلــى فــرعين منــذ زمــن بعيــد جــدا حيـث اسـتقر جـزء مـنهم فـي الـيمن بـين قبائـل طـي وتآخـت معهـم حتـى إنهـا تغـزو معهـم وتسـكن معهـم وتبقـى فـي حلهـم وترحـالهم أينمــا كــانوا ، فــي حــين جــزء آخــر قــد اســتوطن بــلاد مــابين النهـرين وأزاح عنهـا بنـو عـيلام شـرقا وهـم أشـقاء بنـو عـاد فـي وادي النيــل والحجــاز وعبيــل فــي بــلاد الشــام بــن عــوص بــن أرام ثـم ازاحـو بنـو عبيـد الملقـب الضـخم شـمالا وهـو الشـقيق

الأكبر ابن عوص بن ارام والذين كانوا يستوطنوا بلاد مابين النهرين ، ولكن لم يأتي لنجدت طسم إلا بنو شمر بن طسم في اليمن مع إخوانهم طي القحطانية لقضاء على جديس ، في حين تحالف مع جديس باقي العمالقة الذين هزموا في كوثي ولكن انهزموا مع جديس أيضا ولم يبقى من جديس إلا قبيلة صغيرة وهم بنو مدغيس والذي رحلوا مع باقي العمالقة غربا إلى أقصى حدود الجنوبية لبلاد عبيل (الشام) حيث دخلوا في بلاد بنو عاد الغربية (مصر) وهناك التقوى مع فرعين من طسم قد هاجروا قبل قرون غرب وادي النيل وهم تمحو وتحنو أبناء طسم بن عاصم الملقب لاوذ والذين يعرفون هناك بلقب ليبو ، ولقد استقبلوهم عندما تقدم العمالقة مع طسم ، فطسم وهو داسم شقيق جاسم الملقب عملاق جد العماليق وشقيق جديس و جرهم أبناء لاوذ وهو عاصم بن ارام ، ولقد عرف بقايا العماليق بالجبابرة ولقبهم أبناء كنعان امازي ، وكنعان أي سهلي هو لقب لأبناء كهلان ابن عبد الشمس الملقب سبا والشهير بسام والذين انقسموا إلى فرعين فرع بقى في اليمن وجزء استوطنوا سهول وسواحل بلاد عبيل (الشام) وأزاحوا عبيل شمالا وتغلبوا عليهم ، ولقد كان لسبا ابن أخر وهو حمير الملقب حام والذين انقسموا لفرعين فرع بقى في اليمن وفرع استوطن جنوب وادي النيل وهم أربع قبائل وهم بنو غشوم الملقب اكسوم و بنو انوبي وبنو قوس ويقال له قوسي الملقب كوش أو كوشي و بنو حبس ويقال له حبسي الملقب حبش أو حبشي .

لقد كانت قبائل العرب كثيرة وقوية وتحالفاتهم تزداد تعقيد مع مرور الزمن مما جعلها تدخل في صراع على الأراضي بسبب ازدياد التصحر في الأراضي والذي جاء بعد انحصار الطوفان فلقد غمرت مياه البحار المالحة الأرض فقتلت النبات بل ترسب الملح بعد انحصار الطوفان في السهول حولها إلى أراضي قاحلة لا تصلح لزرع وحتى البحيرات والمستنقعات اختلطت بمياه البحر المالحة فأصبحت غير صالحة لشرب للإنسان والحيوان وحتى لسقي النبات ، وتحتاج إلى قرون لتزول الأملاح منها .

أما في فاران النبعين وبعد أن أنجبت رفقة للضحاك تؤم وهما عوص الملقب عيس و عقاب الملقب يعقوب عادت الفرح والسعادة بعد أشهر من الحزن على رحيل سرايا .



الفصل الثالث والعشرون

وفاة لواءات الرسول ووصيته للأميرة كوثر وسميع الله

عام 2928 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2927 ق م م

فــي فجـر نهضــت الأميــرة كــوثر كعادتهــا للإفطــار ثــم الوضــوء والــذهاب إلــى بيــت الله لصــلاة قبـل شـروق الشــمس وكــان ســميع الله هــو الآخــر يلتقــي بأمــه هنــاك لصــلاة والــدعاء ولكــن تفــاجئ ســميع الله والأميــرة كــوثر بوجــود شــخص ســاجد عنــد البيــت الله وعنــدما اقتربــا منــه وجــداه لــواءات الرســول فعنــدما أحــس بقــدومهم نهــض مــن ســجوده وأكمــل صــلاته ثــم ظل جالس وهو يرحب بهم وكان يبدو عليه الإعياء الشديد .

فقالــت لــه الأميــرة كــوثر : ألا تســتريح ببيتــك فيبــدو انــك تعــب جدا ؟

وقال سميع الله : يا عمي هل أنت مريض وتحتاج لشيء ؟

فقــال لــواءات : لا لســت مــريض ولكــن الأجــل حــان وأحببــت أن التقي الله وأنا في كنف بيته .

جــزع ســميع الله والأميــرة كــوثر فقــال لــه : ربمــا الإعيــاء مــا أصابك وتحتاج إلى الراحة .

ولكنـــه ذكــرهم بأنـــه رســول الله ولا نبـــي أو رســـول يمــوت إلا اعلمـــه الله بأجلـــه ، وأنـــا اعلـــم ذلـــك ولا تنســـيان أنـــي بلغـــت مـــن العمــر مــا بلغــت سبعون عامــا عمــر ، ثــم أردف قــائلا : يــا بنــي (ســميع الله) أوصــيك ببنــاتي أمهــات أولادك خيــرا فلــيس لهــم بعــد الله إلا أنــت وأمــك ، ثــم قــال للأميــرة كــوثر ، وأنــت يــا ســيدة كــوثي جــزأك الله وابنــك عنــي وأهلــي كــل خيــر ولكــن أريــد أن أوصـــيك بزوجتـــي حيـــرة وولـــداي أواب وعمـــرون ، فـــإذا تزوجــت حيــرة مــن بعــدي فــأولادي فــي عهــدتك ولقــد أوصــيت حيــرة ليلــة أمــس بــذلك وإلا فــإنهم تحــت رعــايتكم كلهــم ، وأخــر ما أريد أن أوصي به هو دفني حيث أموت .

ولقــد خــيم الحــزن والصــمت علــى الأميــرة كــوثر وســميع الله وصـــاليان بجــوار لـــواءات عنــد مكـــان الخيمـــة القديمـــة حيـــث أزيلــت بعــد بنــاء ابــي راحــيم وســميع الله بيــت الله أي قبــل ثمانيــة

عشـرة عامـا ولكـن ظـل الجـدار علــى شـكل حـدوت حصــان بشـمال البيـت موجـودا وكــان المكــان المفضـل للأميــرة كــوثر وسـميع الله لتعبـد الله فيهـا وكـذلك ابـي راحـيم ولـواءات فهـي لا تعيق من أراد أن يطوف ببيت الله .

وهـاهي تشـرق الشـمس ليسـجد لـواءات ولـم يـنهض أبـدا فأقامـت الأميــرة كــوثر وسـميع الله بــإبلاغ أهـل كــوثي وتنفيــذ وصيت لواءات ودفن في مكان سجوده الأخيرة .

كــان خبــر وفاتــه وقعــة شـديد علــى بناتــه لأنهـم فقـدنا أمهـن منـذ زمـن فشـعرنا بــاليتم الحقيقــي ولكـن الأميــرة كــوثر قامـت باحتضــانهن جميعنــا وأنهـن بناتــه وسـيكوننا كـذلك حتــى آخـر عمرهـا ، ولـن تتخلــى عـنهن أبـدا ، وكــان هـذا الوعـد فيــه بعـض المواسـاة لهـن وكـذلك اقسـم لهـن سـميع الله بتنفيـذ وصـيت عمه ولن يتخلى عنهن أبدا .

أمــا حيـرة فلقـد أقسـمت يمينــا مغلظــا علــى قبـر زوجهــا لــواءات بأنهــا ســوفا تبقــى زوجتــه حتــى يواريهــا الثـرى ولــن تتــزوج مـن بعـده أبـدا وإنهــا أم لـيس لطفليهــا فقـط بـل لرايــا وسـرايا ومليكـا أيضـا ، ولقـد كانـت حيـرة تبلـغ مـن العمـر اثنـين وثلاثــون عامــا وولــديها التؤمــان عشــرة أعــوام ألا إنهــا كانــت وفيه حقا .

ولقـد شـاع الخبـر حتـى بلـغ فـاران حيـث هـم ابـي راحـيم وابنـــه الضـــحاك و أخــت لــواءات الصـــغرى مليكــا وزوجهــا للقــدوم لكــوثي بــرغم صـعوبة الطريــق بسـبب أمطــار الشــتاء والريــاح الشـديدة فــي فــاران والطريــق المـؤدي لكـوثي حيـث بدأت الأمطار في الهطول .

وصـل ابـي راحـيم مـع القافلـة وكـان فصـل الشـتاء فـي منتصــفه ، فلقـد كانــت فرحـت الفلاحــون كبيــرة فلقـد تــأخرت الأمطار ولكنها أتت بخير وفير .

وفـي كـوثي رحبـت الأميـرة كـوثر وسـميع الله وكـل أهلـه وال لـواءات بـابي راحـيم الرسـول والقافلـة ، ولقـد تـم مراسـم العزاء وأقاموا في كوثي شهرا كاملا فيها .

الفصل الرابع والعشرون

إقامة دائمة لأبي راحيم في كوثي

عام 2927 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2917 ق م م

بعـد أن أتـم ابــي راحـيم شـهرا فــي كـوثي اجتمـع مـع زوجتـــه الأميـــرة كـــوثر وابنـــه البكـــر ســـميع الله والصـــغير الضـحاك وزوجـاتهم وأولادهـم فقـال لهـم : لقـد تقـدم بـي العمـر

وبلغت ما بلغت ولم اعد أقوى على الترحال ولا على حياة البدو في فاران النبعين ، لذا فلقد استأذنت ربي بأن أقيم هنا في كوثي عند بيته الحرام ، لذا اعرض عليك يا بني الضحاك إن تقم معنا هنا مع أخيك الكبير سميع الله أنت واهلك .
فقال الضحاك : ولكن يا أبي ما كنت اترك ارض ولدت فيها وكانت أمي فيها .
سميع الله نظر باستغراب ثم قال له وهو يبتسم : ولكن يا أخي ، أمك رحمها الله لم تلد في فاران ولم يتوفاها الله فيها أيضا وإذا كنت أنت ولدت في فاران فانا أيضا ، فكيف تفضل عيش البداوة على الحضر ؟ هنا أعظم بيت لله .
ضحك الضحاك وقال : نعم أنت ولدت في فاران ولكن أبي هاجرك أنت وأمك هاجر إلى هنا فلم يكن لك خيار العيش في فاران .
غضب ابي راحيم من قول ولده أما الأميرة كوثر فلقد قامت وقالت قبل خروجها : لم يكن لابي راحيم أن يهجرني ، فانا الأميرة وأم ولده البكر و الوحيد ، و لولا أمر الله ليمتحن صبره وإيماني لم هجرنا فهو رسول الله وما يفعل شيء إلا بأمره ، والله فضلنا بان نقيم عندا بيته المحرم وليس عند قطعان المواشي وخيام الرعاء ، ثم استأذنت زوجها وغادرت .
أما سميع الله فقال لأبيه : دعه يرحل عن بيت الله الحرام ويعيش كما يحب في البادية ، ثم استأذن أبيه وغادر .

أما ابي راحيم الرسول نظر إلى ابنه ثم قام وقال له : أنا عزمت على القيام في هذا البلد المبارك عندا بيت الله ، وأنت إن شئت بقيت وان شئت رحلت وخذا ما تشاء من مواشي وقطعاني ، فلا حاجة لي بها ولا لابني سميع الله وزوجتي كوثر .
شعر الضحاك انه تسرع وربما خانته الكلمات لذا لحق بابيه يطلب منه الصفح ثم الى الأميرة كوثر وأخيه الأكبر سميع الله ولقد صفحوا عنه ، ثم غادر مع أهله وخالته مليكا وأهلها إلى فاران النبعين .
ومرت أعوام وأصبح سميع الله يقوم بما يكلفه به أبيه بالسفر لتجارة ونشر دين الله ، أما في كوثي فلقد تكفلت الأميرة كوثر في تزويج أحفادها واحد تلوا الآخر حتى ابني لواءات ، فلقد مضت عشرة أعوام على إقامة ابي راحيم في كوثي كان يقوم برغم سنه بأعباء الحج والعمرة أثناء غياب سميع الله ، ولقد تبقت باسمة بنت سميع الله لم تتزوج برغم تقدم له أكثر من واحد ولكنها لم ترغب في الزواج بل كانت تحب العيش مع جدتها الأميرة كوثر بل تحبها أكثر من أمها ، تساعدها على أمور الحياة وصنع العطور والعلاج وتقص لها قصص الصيد في مملكة أبيها طور وحياتها في القصر وزواجها من ابي راحيم وتربيت ابنها سميع الله في كوثي لوحدها وقصة ملاك الماء والوعل العظيم فداء لابنها ، فلقد كانت لا ترى شي أعظم من العيش مع جدتها كوثر ، لذا كانت ترفض أي احد يتقدم لها .

الفصل الخامس والعشرون

سميع الله رسول الله وفرحة ابي راحيم والأميرة كوثر

عام 2917 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2914 ق م م

كان سميع الله قد أتم عامه الأربعين ، وفي فجر احدي الأيام في كوثي جاء سميع الله مهرولا إلى دار أمه وأبيه وطرق الباب ، استيقظ ابي راحيم والأميرة كوثر مذعورين من هذا الطرق ، فهرعت الأميرة كوثر في حمل سيفها ودرعها على عجل ووقفت خلف الباب وسئلت من الطارق ولقد قدم ابي راحيم البالغ من العمر ثلاثة وثمانون عاما حاملا سيفه ، فرد سميع الله وقال : أبي أمي هذا أنا سميع الله .

فتحت الأميرة كوثر الباب على عجل وقالت له : هل أنت بخير ؟ هل اهلك بخير ؟

فقال سميع الله : الكل بخير بخير ، ولكن وانأ قائم عند بيت الله لأصلي وابتهل كعادتي كل فجر جاءني ملاك عظيم قال لي أنا رسول من الله إليك لتبلغ الناس رسالته ، فقلت له من أنت فقال رسول الله إلى رسله ، أنا جبر الله (جبريل) ، الله يرسلني إلى رسله لجبر عقائد الناس ودين الله من ما أفسده عليهم الشيطان .

فرحت الأميرة كوثر وقالت : الحمد لله ، الله اصطفى ابني نبيا ، ثم أرادت أن تحتضنه ولكن سبقها ابي راحيم والدمع في عينية واحتضن ابنه وقال لزوجته : بل اصطفاه ليكون نبيا رسولا .

ثم ارتاح ابي راحيم ، فلقد كلف الله ابنه بأعظم شيء واصطفاه رسولا ثم دعي الله له الثبات والإعانة على الرسالة ، ولقد عمت الفرحة لدى الأميرة كوثر وكل أل ابي راحيم وكذلك زوجات سميع الله وأبنائه الكل سعيد والكل مشفق على حمل هذه الرسالة ، ولقد تمنى ابي راحيم أن

يمن الله عليه أيضا وان يصطفي ابنه الآخر الضحاك ليكون نبيا ولو على أهله وال فاران النبعين .

ولقد مرت ثلاث أعوام ، و توالت رسائل الله لسميع الله ليبلغ كوثي وما حولها حتى كامل أراضي الحجاز واليمن من جنوب أراضي عبيل (بلاد الشام) حتى ممالك في أمصار اليمن ، لقد اتخذ أحصنه عديدا من نصل براق ليمتطيها ويسهل عليه بلوغ الممالك والقبائل وكل الأمصار لدعوة الله ، ولم يثنيه شيء على ذلك

الفصل السادس والعشرون

قدوم و زواج عوص ووفاة ابي راحيم الرسول

عام 2914 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2903 ق م م

في صباح الباكر قدم عوص ابن الضحاك من فاران إلى كوثي ويبدوا على وجه التجهم فاستقبلته الأميرة كوثر عند بيت الحرام بعد أن طاف بالبيت ، واخبرها أن أمه رفقة طالما تفضل شقيقة عقاب عليه في كل شيء ولهذا قرر أن يهجر ارض فاران .

جاء ابي راحيم الرسول وقال له بعد أن رحب بحفيدة : عليك أن تبقى هنا فلقد عرضت على أبيك قبل أعوام البقاء ولكنه رفض ، ويجب أن تعيش هنا وتتزوج هنا ، فهذه ارض مباركة ففيها أول وأعظم بيت لله .

وافق عوص الملقب عيسو وعرض عليه الأميرة كوثر الزواج من أبنت عمه باسمة ،وسوفا تمنح لها بيت تعيشان فيه .

لم يجد عوص أي سبب لرفض هذا الأمر وتم الزواج ولم يكن سميع الله حاضرا في كوثي فلقد كان في مهمة لنشر دين الله في ارض عبيل (الشام) وكان معه تجار من كوثي ليرجع معهم بتجارة من ارض عبيل لكوثي ، وفي كوثي اخبر بأمر زواج ابنته من عوص فسعد بذلك وبارك لهم الزواج .

وفي العام التالي أنجبت باسمة لعوص ابن وهو سيكون الوحيد لعوص ولقد اختار ابي راحيم اسم له وهو رعي الله .

وبعد بضع أشهر من نفس العام وصى ابي راحيم زوجته الأميرة كوثر وابنه سميع الله أن يدفن بجوار ابن عمه لواءات عند بيت الله ، وبالفعل توفي ابي راحيم عن

عمر يناهز سبعة وثمانون عاما وهو عمر كبير جدا في ذلك الوقت فلم يعد البشر يعيشون حتى الثمانون بعد الطوفان ، فلقد أصبحت أعمار البشر قصيرة .

خيم الحزن على كوثي وفاران وكل المؤمنين في ارض العرب ، فلقد توفى أعظم رسولا بعد الطوفان ، ولقد أنهك الحزن الأميرة كوثر جدا وكان سميع الله الرسول يبشرها ويصبرها وذكرها انه صديقه فلقد امتحنها الله في اختيار العيش الفقير مع ابي راحيم الرسول على العيش في مملكة أبيه ، ولقد انصاعت لأمر الله في هجرتها إلى هذا الوادي الفارغ آنذاك من الناس والنبات والحيوان وحتى الماء ولقد صبرت وصدقت بان الله لا يضيعها وفجر لأجلها الماء ولقد تصبرت عندما أراد الله أن يضحي ابي راحيم بولده الوحيد سميع الله ثم فداه بكبش عظيم من الوعول ، كل هذا ليدل على نصر الله لك ومحبته .

كان كلام سميع الله يشفي قلب أمه من الفاجعة ، ولقد جاء الضحاك وابنه عقاب وأهلهم إلى كوثي للعزاء ثم رجعوا إلى ارض فاران ،

ومرات الشهور وقرر عوص الهجرة من كوثي ليقيم مع أخواله في فاران ولقد عرض على زوجته أن ترحل معه أو البقاء ففضلت البقاء مع ابنها رعي الله والذي سوفا يكبر ويتزوج من بنات جرهم لتنجب ثلاث بنات وهن نحثه وشمسه و مضيئة ، و ولد وهو زارح ، ولقد تزوجنا من أحفاد سميع الله أما زارح فلقد اثر الرحيل إلى جده عوص ويعيش هناك معه .

الفصل السابع والعشرون

رحيل الصديقة والأميرة كوثر زوجة الرسول أبي راحيم وأم الرسول سميع الله

عام 2903 ق م م (قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) حتى عام 2880 ق م م

عشرة أعوام ثقيلة مرت على الأميرة كوثر بعد وفاة ابي راحيم ، وفي الصباح الباكر وعند بيت الله الحرام كانت خطواتها ثقيلة وصحتها ليست جيدة ، فهي بالغة من العمر ثلاثة وسبعون عاما جلست بجوار قبر زوجها ابي راحيم وصارت تدعو لله له حتى جاء سميع الله الرسول ابنها وجلس بقربها وكان هو الآخر يبلغ من العمر أربعة وخمسون عاما ، وكانا يتذكرون الأيام الخوالي ثم صار سميع الله يحادثها عن ملكوت الله وعن الكرسي والعرش والملائكة وانه يزور أبيه وباقي الأنبياء والرسول من قبله ، وكانت الأميرة كوثر تستمع وترى بعض الملائكة بين الحين والأخر فقالت لابنها : يا بني اعتقد إن منيتي حانت فلقد سمعت أحدا الملائكة تبشرني بلقاء ابي راحيم والله .
فقال سميع الله : إن فارقك علي عظيم ولقد أخبرت بهذا منذ أشهر ولكن كتمت الأمر لعله لا يحدث .
الأميرة كوثر : بني اعلم إني وأبيك رضين عنك ونحمد الله انك ابننا ، ولكن أوصيك أن تدفني بجوار ابي راحيم هنا .

وافق سميع الله الرسول لوصيت أمه ودفنها في ضحى اليوم نفسه ، وبهذا تتوفى الصديقة كوثر بجوار زوجها ابي راحيم الرسول وابن عمه لواءات الرسول ، وعاش سميع الله أربعة عشرة عاما وهو يدعو الناس للإيمان بالله حتى بلغ من العمر ثمانية وستون عاما حيث أوصى بنيه أن يدفن بجوار أمه ، وكان له ما أراد لتوصي أيضا بنات لواءات رايا وسرايا ومليكا زوجات سميع الله ، أبنائها وأحفادهن بان يدفن بجوار أبيهن لواءات وكان ذلك ليكتمل عقد أل ابي راحيم في مكان واحد ، ومن بعدهم لم يدفن احد عند بيت الله الحرام بل في مقابر في كوثي عند صفوح الجبال ، ولقد ظل اسم مكان مدفن أل ابي راحيم بحجر سميع الله (إسماعيل) بجوار البيت حيث نصبت أول خيمة وأول بيت للأميرة كوثر وابنها سميع الله ، ولقد علق اسم الأميين على الاسماعيليون نسبه إلى أمه العظيمة كوثر عليها السلام .

وبعد ثلاثة الآلف عام من ميلاد ابي راحيم الرسول ولد آخر الأنبياء والمرسلين من نسل ابي راحيم (إبراهيم) وزوجته الصديقة كوثر ومن ابنهما سميع الله (إسماعيل) ولد النبي والرسول العظيم محمد صلى الله عليه وسلم لتكون أمته أعظم الأمم ودينه أعظم الأديان إلى قيام الساعة .

تمت القصة .



سميع الله الطفل وأمه الأميرة كوثر